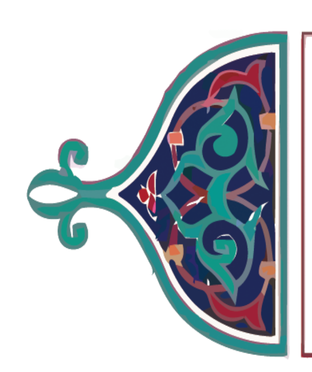


رحلة اليقـين




بسم الله الرحمن الرحيم



المُقدمـة

لماذا أنا مُسلم ؟

مالذي يضمن لي أن الإسلام دين الحق ؟

هل مُحمّدٌ - صلى الله عليه و سلّم- رسول الله فعلاً ؟

هل القرآن كلام الله فعلاً ؟

بل ، **هل** الله موجودٌ فعلاً ؟

لماذا يُطالب غير المسلمين بالإطلاع على الإسلام و الإيمان به ، بينما ليس عليّ أن أتعلم أديانهم ؟

لماذا الحدوُد الإسلامية ؟

لماذا الفتوحات الإسلامية ، لماذا في الشرق ؟

لماذا الحروُب ؟ لماذا الظُلم ؟

لماذا أختلف الصحابة ؟

هل السنة النبوية ثابتة فعلاً ؟

هل أنا مُلزم بإتباع السنّة ؟

إذا تعارض الإسلام مع العقل ! **فماذا** أفعل ؟

أيّها الأحبة ..

سنبدأ بسلسلة جديدة بعنوان " رحلة اليقين " .

هل سنُجيب فيها عن هذه التساؤلات إجابات مُقنعة ؟

نعم ، بإذن الله .

لكن . . قبل ذلك لابُد من ترتيب الأفكار و بناء الأُسس .

إذا كُنا كلّ ما طرأ على بالنا تساؤلٌ أو أُلقيت أمامنا شُبهةٌ ، إهتز إيمانُنا . .

فإن إيماننا يُشبة طاولة دعائمها هشّةٌ و ضعيفة ، لذا فهذة الطاولة يسهل أن تهتَز إذا وُضع عليها حملٌ و لو ضعيف ، و الذي إيمانه كهذة الطاولة فإنه لا يلبثُ أن يُعالج شُبهةً حتى يتشوّش بغيرها ، و لن ينعم ببرد اليقين . .

بل و قد تتراكم عليه الشُبُهات ; حتى ينكسر إيمانُه .

لذا . . **الهدف الأول** من بناء هذه السلسلة هو :

* بيان الدعائم الصحيحة التي نستند إليها في إيماننا ، الدعائم الثابتة القويه المُقنعة ، حينئذٍ قد تكون لدينا تساؤلات لكن طاولة إيماننا تتحملها و إنما نحب معرفة إجابة هذه التساؤلات

من قبيل ، و لكن ليطمئن قلبي . فإن عرفنا فبها و نعمة و أن لم نعرف أدخلناها في حيز التسليم المُستند إلى إيمان أعملنا فيه عقولنا .

و هو موقف عقلاني صحيح . و مع التسليم التعلّم ، فكلما طلب أحدنا العلم من مصادرة المناسبة فإنه يحصّل إجابات مقنعة عن أحد هذة التساؤلات ، بحيث يتحوّل التساؤل إلى ركيزة جديدة ترسّخ القناعة بصحة الإسلام . كما قال الدكتور محمد الدراز : فليعلموا أن كلّ شُبهة تُقام في وجه الحق الواضح سيُحيلها الحقّ حُجة لنفسه يضمّها إلى حُججه و بيّناته .

بعد بناء هذه الدعائم سننتقل إلى **منهجية التعامُل مع الشُبهات** .

كيف نتعامل مع تساؤلاتنا بطريقة علمية صحيحة و بهدوء ، بل و نحول مانستطيع منها إلى دعائم جديدة تزيد إيماننا رسوخاً.

بل .. سنعود للتساؤل و نسأل أنفُسنا :

لماذا ثارت هذه التساؤلات أصلاً ؟

هل ثورانها شيء عادي ؟ يحصل مع أي نفس إنسانية أم أن بعضها هو من أعراض هزيمة نفسية نعانيها ؟

أليس من الممكن إنشغالنا ببعض هذه التساؤلات هو نتيجة نظرتنا إلى أنفُسنا و ديننا بعيون أعدائنا الذين إستطاعوا من خلال هيمنتهم على وسائل التأثير و الإعلام ، أن يعيدوا برمجة تفكيرنا و أحاسيسنا و ذوقنا و معاييرنا مما يجعلنا نرى الحسنَ قبيحاً و القبيحَ حسناً !!

هل هو موقف يناسب كرامتنا و استقلاليتنا الإنسانية أن نسمح لعدونا بإثارة الأسئلة و الإستشكالات على ديننا و نكتفي نحنُ بموقف المُدافع تارةً ، بل و المتشكك تارة .

سلسلتنا هذه لبناء القناعة و لإحياء العزة الإسلامية أيضاً .

سنعود إلى الجذور . . إلى الأساس . . سنبدأ بإثبات وجود الله عزّ و جلّ .

ثُمّ إثبات أن محمد رسول الله - صلى الله عليه و سلم - .

و أن القرآن كلام الله .

ثُمّ نبني على الأُسس ما بعد ذلك و بطريقة سهلة لكن مُمتعة بإذن الله .

من المُخاطب هُنا ؟

١. المُلحد .
٢. المتردد .
٣. والذي عنده شكوك .
٤. أيضاً المؤمن ، **هل** حتى المؤمن إيماناً عميقاً بالله و برسوله الذي لا يُخالط إيمانه شكٌ أبداً ؟

نعم . **لماذا ؟ مالهدف ؟ مالفائدة ؟ !**

مالفائدة لي كمُؤمن في هذا الموضوع ؟

ليس فائدةٌ واحدة ، بل **ستّ فوائد عظيمة** سنعرفها و نتكلم عنها . . .

سنبدأ **بإثبات وجود الله سُبحانه و تعالى** فهذا الأصل الذي ينبني عليه كل شيء.

القارىء المُسلم قد يقول : أنا مؤمن بوجود الله ، إذاً هذا الكلام ليس لي .

فالحقيقة ، حتى المؤمن بوجود الله إيماناً عميقاً يحتاج إلى هذا الكلام .

لماذا ؟

سأذكر **ستّ فوائد مهمّه** و هي :

١) تعميق الجذور .

فاليقين على درجات و ليس على درجة واحد .
كيف ؟ أليس إنسان مُصدق ؟ أم شاكّ ؟ أم مُكذب ؟
أليس اليقين تصديق جازم لا يُخالفه شك ؟
بلى . . و لكن ، هذا التصديق بدوره على درجات .
أنت حين تُصدق بوجود الله تصديقاً جازماً حاسماً لا يُخالطه شكّ ، فقد إجتزت الخط المطلوب ، يعني أفلت من جاذبية الشكوك و التردد . لكن الناس بعد ذلك يتفاوتون في التحليق .
أدخل إلى حديقة و آنظر إلى أشجارها . كلّها أشجارٌ حيّة قائمةٌ على سيقانها . . نعم ، لكن . . **هل** هي سواء ؟ لا .
ستجد شجرة قائمة على جذورها قريبة من سطح الأرض ، فيسهُل إجتثاثها. بينما ستجد آخرى عميقة الجذور ، يصعب إجتثاثها . و ستجد أخرى أقوى جذوراً و أعمق ، فلا مطمع في إجتثاثها أبداً ، قد تُقطع أو تُقتل لكن لا يمكن إجتثاثها أبداً . و ذلك **اليقين** في النفوس .

قد يكون مجموعة من المسلمسن كلهم عندهم **يقين** حيّ كما هذه الأشجار حيّه . لكن شتّان بين ثباتها إذا تعرضت للفتن .

أيضاّ هذه الأشجار هي ليست سواء في ثمارها أبداً ، فمنها ما ينفع إلا نفسها . و منها ما يتساقط ثمرها على الناس و يستظلون بظلها .

كذلك **اليقين** . و ذلك حتى صاحب **اليقين** بحاجه الى سقي شجرة **يقينه** لئلا تجف و تموت ، بل تنمو و تُثمر و تنفع و تضرب جذورها عميقاً .

و من أهم سقائهآ (**التفكّر**) الذي حثّ عليه ربنا بقوله :

﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ ﴾ [آل عمران : ١٩١].

و من أعظم التفكر تأمل أدلة الله عزّ و جل ، قوله تعالى :

﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾ [مريم : ٧٦].

أدرك إبراهيم الخليل عليه السلام تفاوت مراتب **اليقين** و هو من هو في قوة **يقينه** ؟ و مع ذلك أراد أعلى درجاته.

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾

[البقرة : ٢٦٠].

قال إبن عاشور في تفسير قوله تعالى:

﴿ لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾: ليثبت و يتحقق علمي و ينتقل من معالجة الفكر و النظر إلى بساطة الضرورة ليقين المُشاهدة و الكشف المعلوم انكاشفاً معلوماً لايحتاج إلى مُعاودة الإستدلال و دفع الشُبه عن العقل .

كأن إبراهيم عليه السلام يقول أُريد أن أُحكم هذا الأساس حقيقة البعث بعد الموت إحكاماً لأبني عليه و أنعم ببرد **اليقين**.

و لا تعود لي نفسي لفتح الموضوع و الحاجة إلى البرهنة عليه و فتح التساؤلات.

٢) إحسان الظنّ بالله .

طريقتنا في تناول وجود الله لن تكون جافّه . بل المقصود منها بالإضافة إلى تعميق **اليقين** بوجوده هو أيضاً تعميق المحبة لله تعالى

و **اليقين** بعدلة و حكمتة و رحمتة .

كلما نظرت في أدلة وجود الله ثم في أدلة صحة دينة تزداد **يقيناً** برحمتة سُبحانه أن أقام كل هذه الشواهد و تقول في نفسك يآه كلّ هذه الشواهد ! كلّ هذه الأدلة ! ما أرحمكَ ربّي بعبادك.

ستزداد **يقيناً** بعدل الله تعالى حين يُعاقِب أُناساً كفروا به بعد هذا كله.

و تعلم حقاً أنه ليس للناس على الله حُجّة بعد هذا كلّه و لا عذر.

هناك مسلمون موقنون بوجود الله حقاً . لكن لديهم إشكالية حقيقية في هذه المسألة و يساورهم الشعور بأنه **لماذا** يُعاقب الكافر الذي لم يقتنع بوجود الله و صحة الإسلام ؟

و هذا يوقع العبد الموقن بالله; ليوقعه في سوء الظن برحمة الله و عدلة.

الإيمان بالله مُركب من **تصديق** و **أعمال قلب** و **أعمال لسان** و **أعمال الأعضاء**.

التصديق ليس على درجة واحدة وهو بحاجة إلى تمكين وترسيخ وسقاء لتأمل أدلة وجود الله سُبحانه.

وأعمال القلوب محبة الله و اليقين بعدلة و حسن

الظن بحكمتة ورحمتة. هذه أيضاً تحتاج التفكر في أدلة وجودة سُبحانه و تعالى.

وإذا كان عندك تصديقٌ ، بينما أعمال القلوب مُشوّشه و الظن ليس بحسن وفي الصدر حرج. فنور التصديق سيبقى محجوباً.

لذا ، **فاليقين** الذي نتكلم عنه يقينان :

١. يقين بوجود الله.
٢. يقين بأدلة وجود الله ، أنها كافية واضحة وشافية وملزمة تقوم بها الحجة على الخلق.

٣) تكوين الدافعية .

اليقين بالمفهوم الذي شرحناه هو قوتك الدافعة لكل شيئ بعد ذلك.

هو المُحرك الذي بحسب قوتة تنطلق و تستطيع تجاوز العقبات وصعود الجبال . كلما أحكمت مسألة **اليقين** فإنه ليس أمامك إلا العمل والانطلاق بهمة و حيوية في طريق الجنة. وتتفجر ينابيع طاقاتك المذخورة في خدمة دين اللّه و الاستقامة على أمره و الدعوة إليه بعزم وثبات ومثابرة. كلما سقيت اليقين تجدد النشاط و تلاشى الفتور.

لذلك فأول وصف وصف الله به المتقين في كتابة الكريم في مطلع سورة البقرة ، قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة : ٣].
هذا هو المحرك لكل شيء ، بينما إذا كان هناك خلل في الجذور فسيصل الأثر في الثمرات.

٤) الثبات و التثبيت .

نحن في زمن هو زمن الفتن وكم خلعت هذه الفتن أناساً من إيمانهم وواجب المسلم أن يُحصن نفسه و ضرب جذور **يقينه** في الأرض ;ليثبت أمام عواصف الفتن ويثبت من حوله.
تأمل معي قول أبن تيمية - رحمة الله -:" فعامة الناس اذا أسلموا بعد كفر، أو ولدوا على الاسلام والتزموا شرائعه وكانوا من اهل الطاعة لله ورسوله؛ فهم مسلمون، ومعهم ايمان مجمل، ولكن دخول حقيقة الايمان إلى قلوبهم انما يحصل شيئاً فشيئاً، إن أعطاهم الله ذلك، والا فكثير من الناس لا يصلون لا إلى **اليقين** ولا إلى الجهاد، ولو شككوا لشكوا، ولو أمروا بالجهاد لما جاهدوا، وليسوا كفارا ولامنافقين؛

بل ليس عندهم من علم القلب ومعرفته ويقينه ما يدرأ الريب ".

إذاً هؤلاء عندهم إيمان مُجمل لكنه ليس عميقاً في نفوسهم فهم على خطر.

حتى لو كنت راضياً عن **يقينك** ، **ماذا** عن أبنائك ؟

هل تستطيع إعانتهم على تثبيت القناعة و**اليقين** ؟

ماذا عن أهلك وأحبابك ومحيطك ؟

و نحن في زمن الحرب الفكرية التي تضرب الأساس و الجذور لتشكك المسلمين بربهم عزّ و جلّ أصبحنا كثيراً ما نسمع هذه الأيام عن أناسٌ يشتكون أن أبنائهم و أحبابهم تأثروا بالشُبهات.

فهل تُطيق أن يموت حبيبٌ لك على الكفر أو الشك ؟

قال الله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة : ٢٤].

بالعلو في مراتب **اليقين** تتأهل أن تكون من الأئمة الذين ينصر الله بهم الدين. قد تلقى أمامك شبهة عن وجود الله من طالب جواب بالفعل

أو من مشكك في دينك، يريد إحراجك، فرق بين أن تتعلثم أو تتهرب أو تجيب بعصبية أو سطحية يفرح بها هذا المشكك و يحرز بها إنتصاراً وهمياً على دينك من خلالك، و في المقابل أن يكون عندك الجواب القاطع! الذي يلجم المغرد و يهدي الحيارى و يشفي الصدور .

٥) إدراك النعمة .

من مراجعة أدلة وجود الله تعالى هي إدراك نعمة وجود الله عليك و أنت ترى الفرق الكبير بين المؤمن بوجود الله و المنكر له. تستشعر كما لم تستشعر من قبل معنى كثير من الآيات :

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ (١٩) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ (٢٠) وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ (٢١) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ (٢٢)﴾ [فاطر] .

تُدرك بعمق معنى قولة تعالى :

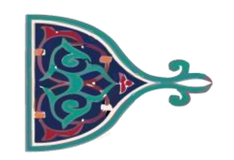
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ﴾ [غافر : ٦٩].

تدركه و أنت ترى تبيعات إنكار الله كيف يهوي صاحبة في مكان سحيق. فيزيد ذلك تمسكك بدينك و إنحيازاً له و إدراك لنعمة الله عليك.
ذكر إبن تيمية في منهاج السنة أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال : " إنما تُنقَضُ عُرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية ".
نعم . فهؤلاء لا يدركون عظمة نعمة الإسلام و قد تقلصت المسافات في كيانهم بين الحق و الباطل ، فما أسهل أن تنحلّ عرى الإسلام لديهم فيسقط في وديان الشكّ و الضياع.

٦) إحياء العزة .

مع تأمل أدلة وجود الله تشعر بالعزّة ، و الإنسجام مع نفسك و أنت تُظهر شعائر دينك و تدعوا إليه لأنك تدرك أنك على الحق المبين وأن هذا الذي تظهرة و تدعوا إليه و ضعف فيه الآخرون من شعائر دينك ، دعوتك ، أمرك بالمعروف ، نهيك عن المنكر . أنها كلها مستندة في الأساس إلى الحقيقة العظيمة و العليا التي لا تتردد في صحتها لحظة !

لن تحتاج أن تعدل في مظهرك أو في أن تخفي ملامح هويتك الإسلامية ليتقبلوك ، لن تحتاجي أن تعدلي في سلوكك أو حجابك ليتقبلوكِ،
لن تشعر بالغربة حتى و إن كنت تمشي عكس التيار ، فإنك ستشعر أنك الأصل لأنك على الحق ، و لسان حالنا يقول ألا ترونا ما أرى ؟ ألا ترونا الشمس في رابعة النهار ؟
أنا كُلما نظرت في أدلة وجود الله أستشعرت هذه العزة و هذا الإنسجام و هذه الرغبة في دلالة الناس على طاعة ربهم عز و جل.
لأجل هذه الأسباب كلها فإن هذا المحتوى الذي نتناول فيه أدلة وجود الله سبحانه لن تكون نافعة و مهمة للمتردد أو المنكر الباحث عن الحقيقة فحسب بل و لكل مسلم لتعمق جذورك، و تحسن ظنك بربك، و تقوي دافعيتك، و تثبُت و تثبِّت، و تدرك نعمة الله عليك، و تحيي العزة في نفسك بإذن الله.



الفطـرة



أيّها الأحبة ..

سنبدأ بأصل الأصول بإثبات وجود الله عزّ و جل ، لنؤسس القاعدة التي منها ننطلق لما بعدها .

بداية .. **مالذي** يدلنا على وجود الله ؟

إنها الفطرة و العقل .

سنتكلم على الأدلة الفطرية .

ماهي الفطرة ؟ كثيراً ما نسمع عن هذة الكلمة .

ماذا تعني ؟

كيف تدلنا على وجود الله تعالى ؟

الفطرة هي قوى و إندفاعات مودعة في نفس الإنسان تظهر أثارها أثناء نموه و تفاعلة مع بيئتة بداية من إلتقامة ثدي أمه ليرضع ، ثم إنجذابة للحقائق والأخلاق السليمة.

يمكن تشبية الفطرة في الإنسان بنظام تشغيل الكمبيوتر ، نظام التشغيل هذا له مكوناتٌ تتعاون و تأتلف فيما بينها لتعطي إنساناً سوياً.

لاحظ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين :٤].

أحسن تقويم ، يشمل المكونات الفطرية اللزمة لتحقيق الغاية من خلق الإنسان.

و هي تُفهم كذلك من حكاية موسى - عليه السلام - ، قول الله تعالى :

﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾

[طه : ٥٠].

فإن ممن هدى الإنسان ، فالله تعالى أحسن تقويم الإنسان و هداه للفطرة.

هدايات الفطرة :

١) الإقرار بالخالق و الحاجة إلية واللجوء إلية عند الشدائد .

٢) تكوين المسلمات العقلية .

٣) الغاية من وجودة و مصيرة بعد الموت .

٤) النزعة الأخلاقية ، حب الخير و الصلاح و كراهية الشر و الظلم و الفساد.

٥) الإرادة الحرة ، مما يجعلة مختاراً لأفعالة في طاعة الخالق أو معصيتة. قولة تعالى : ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد : ١٠].

٦) الغرائز .

هذا التعريف الموسع للفطرة تجد قريباً منه في كلام ابن عآشور في التحرير
و التنوير عند قوله تعالى :﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين :٤].
فهي إذاَ حزمةٌ فطريةٌ تتعاون بشكلٍ عجيب لتنتج إنساناً سوياً يعمل لغاية ، قد يحجب الفطرة ما يحجبها أثناء مسير الإنسان ، قد يُغالبها الإنسان و يصمّ أذنيه عن ندائها ، بل و يكبتها و يطمسها فلا يعود يسمع هذا النداء العميق .
لكن هذا كلة لا يلغي حقيقة أنها موجودة أصالة و إبتدائاً فيه قبل هذه المُغالبة وتبدأ تهجم عليه الفينة بعد الفينة
وتنجذب لما ينبشُ عنها و ينفض الرُكام المتجمع عليها ، لذا فالفطرة تُشكل مأزقاً كبيراً للملحدين.
فالفطرة تُشكل بالنسبة لهم تدخلاً خارجياً من قوةٍ مريدة عليمة متعالية عن التفاعلات البيوكيميائية العشوائية.

ورطة الملحدين هي كورطة شخص قال لك هذا جهاز كمبيوتر تكوّن صُدفة تركبت أجزائة و تناسقت دون صانع ، و إنما رياح عاصفة جمعته على هذا النوع ! فتحنا الكمبيوتر فإذا فيه نظام تشغيل كامل متناسق و برامج لكلٍ منها غاية.

كيف تُفسر وجود هذة البرامج أيّها المُلحد ؟ إن بلعنا إكذوبتك المُضحكة عن الهاردوير **فكيف** تُفسر وجود البرامج على الجهاز ؟
التفاعلات البيولوجية الكيميائية المجردة و الطفرات العشوائية و الإنتخاب الطبيعي ، لو تجاوزنا أنها لا يمكنها خلق إنسان و سلمنا لكم و قلنا خلقت إنساناً و بثّت فيه الحياة.

هذه المعاني العمياء كلها ، من إين لها أن تودع في عقل هذا الإنسان و نفسة هذه الحزمة المتناسقة الموجهة و كيف تُفسرون تكوّن هذه الجزمة هي نفسها في كل نفسٍ جديدة تولد.

أقرّ بعض الملحدين بالمأزق و منهم الفيلسوف البريطاني توماس ناجل في كتابة المعروف **(** العقل و الكون **)** ، **لماذا** التصور المادي الداروني للطبيعة يكاد يكون خطأُ قطعاُ ؟

و الكتاب يستعرض ثلاث قضايا أساسية موضحة عجز المادية الدارونية عن تقديم حل لها و هي :

١. الوعي.
٢. الإدراك.
٣. القيم.

ومع ذلك بقي الكاتب مُلحداً، أما عامة الملحدين **فكيف** تعاملوا مع الورطة ؟

ترددوا بين إنكار فطرية هذه المكونات ، أي أن منهم من أنكر وجود هذه المكونات في الإنسان ابتدائاً مع ولادرته و أعتبرها من تأثيرات التربية و البيئة الإجتماعية ، و منهم من أقرّ بوجودها لكن حاول إيجاد تفسيرات مادية لها ،
والطرفان وقعا في أعاجيب التخبّط و التناقض و اللامعقول كما سنرى . .

كان هذا بياناً لتعريف الفطرة و لإشكالية الملحدين الإجمالية معها.

سنرى ورطات الملحدين البائسة مع كلّ مكوّن من مكونات الفطرة المذكورة.

لتقول بملىء فيك بعدها:

" الحمد لله الذي هدانا لهذا و ما كُنا لنهتدي لولا أن هدانا الله"

و يجدر بالذكر على الأدلة الفطرية لوجود الله تعالى . أني إستفدتُ من كتاب

(شموع النهار **)** للمهندس عبدالله العجيري حفظه الله.



هل نحن مفطورون
على عبادة الله ؟



وضحنا فيما سبق حزمة المكونات الفطرية و التي تُشكل مأزقاً للملحد يتهرب منه بإنكار وجود هذه المكونات أو بتفسيرها تفسيراً مادياً ، سنرى هذا السلوك الإلحادي مع أول مكوّن ألا و هو نزعة التديّن ، و نقصد بالتدين إدراك الإنسان أن له و لهذا الكون خالقاً مُدبراً و الرغبة في عبادة هذا الخالق و التقرّب منه و الشعور بالحاجة إليه و كذلك اللجدوء إليه عند الشدائد .

المنظور الإسلامي ينظر إلى هذه النزعة كحقيقة مُسلّمة و كذلك في آيآت كثيرة كقول الله تعالى :﴿ إِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا﴾ [يونس :١٢].

الإنسان عموماً ، لأنها فطرة مزروعة إنسان ، وقولنا بفطرية التديّن يعني أن مُكوّن صميميٌ راسخٌ في النفس البشرية ، وجزء أصيل من تكوينها توجد جذورة منذ ولادة الإنسان بغض النظر عن المؤثرات الخارجية.

في البداية أنكر الملحد فطرية التديّن و قال : بل إيمان الناس بوجود خالق أمرٌ مُكتسب بتأثير التربية و تناقل الأجيال لهذة الدعوة ، و لو تُرك الإنسان ونفسه فليس هُناك مايدعوا للإيمان بوجود خالق . و يقول لك المُلحد : هناك مُعتقدات كثيرة يؤمن بها أصحابها مع أنها مُجرد خرافات كبابا نويل الذي يأتي على عربة من السماء ليلة عيد الميلاد و التنين الذي ينفُث النار .

نقول : حتى لو تجاوزنا حقيقة أن المعتقدات الخرافية لا دليل عليها ، بينما وجود الخالق يدلّ كل شيء عليه كما سنُبيّن في هذة السلسلة بإذن الله . فإنه فرقٌ كل الفرق من الناحية الشعورية بين معتقدات خرافية يُغذى بها الأطفال

و يكتشفون عندما ينضجون زيفها و أنها لاتمتلك أي أساس و لا بُرهان و يضحكون على أنفسهم أن آمنوا بها يوماً ما كالتنين و بابا نويل أو خرافات يعتقدها قومٌ في بيئة جغرافية محددة توارثوها عبر الأجيال .

و في المقابل نزعة التديّن هذا الشعور العميق الذي يجده الناس من أنفسهم ، حتى الذي يُنكرة يُغالب نفسة مُغالبة إنكاره.

و يبقى سؤاله يهجم عليه و يفرض نفسه عليه مرة بعد مرة حتى يضطر إلى البحث عن تفسيرات ماديّة لوجوده.

أصالة التديّن في النفس البشرية أمرُ تأكدة دراسات الأنثروبيولوجي"علم الإنسان" ، و السوسيولوجي " علم الإجتماع ".

و بات من المعروف في العديد من الدراسات التعبير عن فطرية التدين بأن الدين أشبه مايكون قد تم تسليكة في الإنسان ، هو مكوّن صميميٌ في الإنسان مُختلط بلحمة و دمة كالشرايين و الأعصاب و هي حقيقة ضاربة في عمق التاريخ ، حتى قال المؤرخ الإغريقي لوتارك : " إذا سافرت عبر العالم فمن الممكن أن تجد مُدناً بلا أسوار بلا أداب بلا ملوك بلا ثروة بلا مسارح ، ولكن لم يكن هناك يوماً و لا يمكن أن يكون في يوم من الأيام مدينة بلا معبد يمارس الإنسان فيه العبادة ".

و الأمر لا يحتاج دراسات و لا تاريخ بل الإنسان يجدة من نفسه ، نه إذا وقع في الشدائد تحرك في نفسه معنىً لا يستطيع دفعه، بأن ثمة قوة عليا بمقدورها إنقاذه، ووجد من حاله طلبا والتجاء لربه أن يخلصه من هذا المأزق.

لذا فمن أمثلة الغرب: (لا يوجد ملحدون في الخنادق)، يعني خنادق الحرب، عندما يتعرضون لأخطار تهدد حياتهم.

قد يكابر الملحد، وقد تجد مجموعة من الجنود الجبناء الذين يتسلون بقتل المدنيين واغتصاب أعراضهم، وليسوا في خطر حقيقي، ومع ذلك يكتبون لوحة عليها: (ملحدون في الخنادق)، وقد تجد الملحدين يكثرون من التبجح بأنهم (ليسوا بحاجة إلى الله)، بل وكثيراً ما يشتمون الله! مع أن الأصل أنهم لا يؤمنون بوجوده، فكيف يشتمون شيئا غير موجود؟! لكن ترديدهم المرَضي لمثل هذه العبارات بمناسبة أو بدون مناسبة يدل على نفسيات متصارعة تغالب صوتا عميقا فيها وتحاول كبته، وإلا لما احتاجوا إلى هذه الضوضاء، خاصة وأن الملحد لا ينتظر جزاءً أخروياً على الاستعلان بمُعتقده، ولا لديه دوافع أخلاقية مُطلقة تدفعه إلى استنقاذ الناس من "ضلال" الإيمان بالله حسب معتقده!

ولفراغ يعصف بكثير من الملاحدة بعد أن أنكروا هذا المكون الفطري الذي يفرض نفسه عليهم، بدأوا بتأسيس لون من التجمعات الإلحادية على نحو طقوسي مشابه إلى حد بعيد للتجمعات الدينية، مثل ما يعرف بكنائس الملاحدة والتي بدأت بالانتشار في دول متعددة كأمريكا وكندا

وبريطانيا، في تعبير واعٍ أو غير واعٍ عن مكنون فطري يبحث عن شكل من أشكال التنفيس.

- وصدق ابن القيم إذ قال: " إن في القلب فاقةً-أي حاجة- لا يسدها شيء سوى الله تعالى أبداً، وفيه شَعَث –يعني تفرُّق- لا يلمه غير الإقبال عليه، وفيه مرضٌ لا يشفيه غير الإخلاص له وعبادتِه وحده".

فنحن لا نتكلم عن التنين ولا عن بابا نويل، بل عن شعور عميق يجده عامة الناس من أنفسهم عبر القرون، ويهجم سؤاله على منكره، ويفرض نفسه عليه مرة بعد مرة، ويبحث عن متنفس له.

نتكلم عن معتقد تتكامل الحزمة الفطرية لخدمته والتوجيه إليه كما وضحنا سابقاً ، وليس عن معتقدات خرافية لا علاقة لها بهذه الحزمة ولا تكاملها ولا توجيهها!

يقول لك الملحد: الإنسان قد يشعر بحب التسلط والذكر قد يشعر بالرغبة في الاعتداء الجنسي على الأنثى، وأنتم مع ذلك أيها المؤمنون بالله تعتبرون هذه نزعات سيئة.

فنقول لهم: ميل النفس لطبائع الهوى والشهوات ليس معكرا على ما نحن فيه، فمع ما في بعض الناس من ميل للرذائل إلا أنهم لا يصححون هذا الميل ولا يرونه حسنا ولا

حقا، بل يعتقدون فساده. فالمكون الفطري هنا، وهو النزعة الأخلاقية، مُتَضَمِّنٌ للاعتراف بفساد الميل للشهوات الرديئة، فالإنسان يعلم أن ميوله هذه باطلة بتأثير الفطرة التي نتكلم عنها، فهذه حجة لنا لا علينا.

أقر كثير من الملحدين بأن نزعة التدين والتصديق بوجود الله يتجاوز التأثير الخارجي والبيئي، وأنه مكون مركزي في الإنسان. ماذا فعلوا؟ هل آمنوا؟ لا، فالإلحاد لا يبحث عن الحقيقة، بل إذا بان بطلان ما كان يعتقده بحث عن أي متعلق آخر غير الإيمان بالله!

قالوا: نزعة الإيمان بالخالق ليس بالضرورة أن تكون مطابقة للحقيقة، بل قد تكون مجرد توهُّمٍ أنتجته العشوائية، قد تكون صفةً انتخبتها الطبيعة لتساعد الإنسان على البقاء. وسنبحث عن سبب مادي لنزعة التدين.

بدأت تتشكل مجالات معرفية خاصة لدراسة هذه الظاهرة. فقد تفرع عن علم الأعصاب ما بات يعرف بعلم اللاهوت العصبي، وهو مجال بحثي يسعى للكشف عن طبيعة الصلة بين الجهاز العصبي وظاهرة التدين. بل بلغ الأمر إلى التفتيش عن جين مسؤول عن نزعة التدين هذه، فقد نشر عالم الجينات الأمريكي دين هامر كتابا سنة ٢٠٠٥ بعنوان:

the God Gene: how faith is hardwired into) our genes؟) (الجين الإلهي: كيف ضُمِّن الإيمان في جيناتنا؟). وتجد مؤلفات في البحث عن الجزء من الدماغ المسؤول عن الإيمان بوجود خالق، ككتاب ماثيو ألبر:

.(The God Part of the Brain)

بدايةً، لاحِظ أن هؤلاء الملحدين لم يبحثوا عن تفسيرات مادية لقناعة بعض الناس بوجود التنين، ولا لأمثلة الملحدين السخيفة التي يضربونها ليقولوا أنتم تفترضون وجود إله وأي إنسان قد يفترض شيئا آخر كوحش السباجيتي الطائر أو الإبريق الدائر في الفضاء! لأنه فرق كل الفرق بين هذه المعتقدات والأمثلة السخيفة وفي المقابل نزعة التدين الأصيلة شديدة العمق في الجنس البشري.

لكن . . لحظة !

أنتم أيها الملحدون **ماذا** تفعلون؟ نبحث عن تفسير مادي للتدين .

حسناً ، وعلى فرض أنكم وجدتم تفسيرا ماديا لنزعة التدين، عليكم أن تجدوا تفسيرات مادية للمكونات الفطرية الخمسة الأخرى التي تكلمنا عنهاسابقاً. سنرى فيما بعد بطلان محاولة تقديم تفسير مادي جيني لكل شيء وتحوُّله إلى

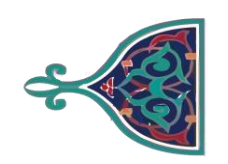
سخافة مبتذلة، ومع ذلك نقول: فلنفترض جدلاً أنكم وجدتم جينات لنزعة التدين، وأخرى للضرورات العقلية، ومجموعة ثالثة للأخلاق، ورابعة للغرائز، وخامسة للشعور بالغائية، ومجموعة سادسة من الجينات للإرادة الحرة وهو ما يبدو متناقضا طبعا، كأننا نقول: جينات تجبرك على أن تكون حراً !

لكن فلنفترض أنكم وجدتم هذا كله، ما هذه الحزمة المتناسقة الموجَّهة التي تجعل الناس مؤمنين بوجود خالق، محبين لعبادته، ملتجئين إليه، مالكين لضرورات عقلية يفهمون بها مراده، ونزعة أخلاقية منسجمة مع أوامره، وشعورٍ بالغائية يدفعهم للبحث عن مراده والالتزام به، وإرادة حرة يختارون بها طاعته أو معصيته، وغرائز تضمن استمرار جنسهم في هذه الأرض خلال فترة اختبارهم! حتى لكأن عشوائيتكم تعبد ربنا!

إن وجدتم هذه الحزمة فما هو إلا دليل آخر على عظم هذا الخالق الذي أودعها في البشر وكامل بينها وجعلها منسجمة مع أوامره الشرعية.

يجيبك كبر الإلحاد فيقول: بل كل هذه النزعات لا تعني بالضرورة شيئا، ووجودها لا يعني صحتها !

وحقيقة . . وإن كان فيما تقدم كفاية لمن أراد الهداية، لكننا سنستمر في مناقشة الملحد لما في هذه المناقشة من فوائد. سنتكلم ما نتائج قول الملحد أن ما يجده الإنسان من نفسه ضرورةً من هذه المكونات لا يلزم أن يكون حقا في حقيقة الأمر، فمحطتنا التالية هي مع الضرورات العقلية، وهو موضوع مهم غزير النفع بإذن الله.



كيف يهدم الإلحاد العقل و العلم ؟



بينا سابقاً أن الملحد حين أنكر وجود الخالق فإن ذلك أدى به إلى نزع الموثوقية عن المكونات الفطرية التي يجدها الإنسان من نفسه. وسنرى كيف أن هذا يؤدي به إلى **سلسلة من الإنكارات**: إنكار المسلمات العقلية والأخلاق وسؤال الغاية والإرادة الحرة، إنكار وجود هذه المكونات بشكل فطري أو إنكار أن يكون لها قيمة.

لماذا؟

أما كان يمكنه أن ينكر الخالق ويحافظ على هذه المُسلَّمات التي يجدها الملحد من نفسه رغما عنه بدل الدخول في سلسلة المكابرة والضياع هذه؟

لا، لا يستطيع! **لماذا؟**

سنرى، وسنبدأ بالضرورات العقلية. سنناقش:

١) دلالة الضرورات العقلية على وجود الله تعالى.

٢) كيف يُسقط الإلحاد المنهج التجريبي؟

٣) هل الإلحاد يحترم العقل أم يسقطه؟

٤) تناقض الملحدين، مقولة: الحقيقة نسبية وليس هناك حقيقة مطلقة، ما أصلها وما نتائجها؟

٥) هل الأشياء هي الدليل على الله أم أن الله هو الدليل على كل شيء؟

١) دلالة الضرورات العقلية على وجود الله تعالى.

بدايةً .. الإيمان يؤسس كل شيء على وجود الله. ففي المنظور الإيماني:

[خلق] [الله] السماوات والأرض [بالحق]، ووضع له [بحكمته] [سننا ثابتة]، وفطر الإنسان على [فطرة] تنتج له [مسلمات عقلية ضرورية]، ينطلق منها [عقل الإنسان] لاكتشاف [حقائق الأشياء].

الملحد لديه مشكلة مع كل عبارة من هذه **العبارات التسعة:**

[خلق] .. [الله] .. [بالحق] ... [بحكمته] ... [سننا ثابتة] ... [فطرة] [مسلمات عقلية ضرورية] ... [عقل الإنسان] ... [حقائق الأشياء].

وسنبين ذلك بالتفصيل. في المنظور الإيماني يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين :٤].

أي أنه أوجد في الإنسان الانجذاب الفطري والقابلية لمعرفة الحق في المُدرَكات والأخلاق، والبحث عن الغاية الحق من الحياة.

يودع هذه المعاني في نفس كل إنسانٍ يخرج للحياة ليبتدئ بها تعلُّمَه قولة تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه : ٥٠].

وهذا من أشكال الهداية. -وقلنا أن هذه الفطرة للإنسان تشبه نظام التشغيل للكمبيوتر.

في المنظور الإلحادي: الإنسان جاء وليد الصدفة والعشوائية، لا لحكمة. وليس هناك شيء اسمه فطرة.

لكن .. **كيف** تفسرون وجود ما يشبه "نظام التشغيل" للإنسان؟

بداية .. **كيف** تفسرون وجود البدهيات العقلية؟ أي المسلمات العقلية، الضرورات العقلية، مثل مبدأ أن البعض أصغر من الكل، وأن واحد زائد واحد يساوي اثنين، وأن النقيضين لا يجتمعان، وأن لكل حدثٍ سبباً؟

هذه قواعد عقلية يبني عليها الإنسان معارفه ولا تنبني على شيء قبلها، فلا بد أن هناك من أودعها في نفس الإنسان.

وهنا تبدأ رحلة التخبط الإلحادية، فمن الملحدين من قال إن هذه القواعد العقلية تتكون من المدخلات الحسية مما يشاهده الإنسان ويسمعه عبر أداة الاستقراء. أي أن الإنسان يرى التفاحة تنضم إلى أخرى فتصبحان تفاحتين، ومشاهد

كثيرة مشابهة تستقرئها عينه، فتتكون لديه من ذلك قواعد عقلية: أن الجزء أصغر من الكل، وأن الواحد زائد واحد يساوي اثنين. وأن الطفل يضربه أخوه فيحس بالألم فيعلم أن الضرب سبب للألم، ويرتطم أمامه جسم بالزجاج فيكسره، فيعلم أن الارتطام سبب الكسر، ويرى كل شيء يحصل بسبب، فتتكون لديه قاعدة السببية: أن لكل شيء حَادثٍ سببا.

لكن الملحد بذلك قد عكس المسألة! فجعل المدخلات هي التي تصوغ القواعد العقلية، وهو شبيه بقول أن كثرة البيانات المدخلة إلى جهاز الكمبيوتر تُكوِّن البرامج القادرة على تحليل المدخَلات والخروج بنتائج! تصور لو أننا أدخلنا عمودين متجاورين على Excel sheet تحت كل منهما عدد كبير من الأرقام، هل سيقوم جهاز الكمبيوتر بنفسه بكتابة معادلة: الرقم الأول + الرقم الثاني = النتيجة؟ حتى لو زدنا عدد الأرقام تحت كل عمود إلى ألف أو مليون؟
لو أدخلنا عمودين متجاورين، تحت الأول: حدث سابق، وتحت الثاني: حدث لاحق، **هل** سيستنتج الكمبيوتر بنفسه أن السابق سبب للَّاحق فيخرج بقاعدة السببية؟

الملحدون أدركوا وجود هذه المشكلة، لكنهم أصروا على التهرب من فكرة أن هناك برمجة يمكن وصفها بأنها (حق) تحلل المدخلات الحسية من جهة وتُعمل العقل من جهة لتصل إلى نتائج حَقَّةٍ، إذ هذه البرمجة تحتاج إلى من يودعها في نفس الإنسان. فأصروا على أن البرمجة وليدة الحواس.
حسناً ،بغض النظر عن مصدر هذه البرمجة، فلنفترض أنها حواسكم..المهم أنها وصلت إلى استنتاجات: على رأسها مبدأ السببية، أن لكل حادث سببا. إذاً فلا بد أن لهذا الكون سبباً.

استنتاجات: على رأسها مبدأ السببية، أن لكل حادث سببا.
إذا فلا بد أن لهذا الكون سببا.
هنا اضطر بعض الملحدين إلى القول بأن استنتاجات هذه البرمجة ليس شرطا أن تكون "حقائق"، فهي إنما نتيجة الاستقراءات، والاستقراءات قد تكون ناقصة.
بمعنى أنه ضمن دائرة مشاهداتهم فلكل شيء سبب، لكن ليس هناك ما يمنع أن يحدث في زاوية من زوايا الكون شيء بلا سبب!

نحن كمؤمنين نقول: (لكل حَادثٍ سبب) هذه حقيقة مُطلقة يقينية تدل كل المشاهدات على صدقها. وهم يقولون: بل قصارى ما يمكننا قوله أن الأحداث التي نراها لها أسباب. نقول لهم: حسناً وجود الكون من أساسه، **ألا** يجب أن يكون له سبب فيكون هناك من أوجده؟

فيقولون: (لا! فنحن لا نرى قاعدة السببية حقيقة مطلقة عامة نلتزم آثارها في كل شيء)!

أدرك هؤلاء مدى تناقضهم وهم يلتزمون بالسببية في حياتهم اليومية والاستكشاف وبناء النظريات العلمية وفي كل شيء، بينما عندما تأتي المسألة إلى الحقيقة الكبرى وهي سبب هذه الأسباب كلها ومصدر الكون ينكرون السببية! **فماذا** فعلوا للخروج من التناقض؟ أنكروا الضرورات العقلية بالكلية من الأصل، ومنها حقيقة أن لكل حدثٍ سببا، وقالوا: الأشياء التي نظن أنها أسباب إنما هي حدثت باقتران مع ما نظنه نتائج، بينما قصارى الأمر أنهما حدثان تعاقبا ولا علاقة لأحدهما بالآخر! وعليه، اعتبروا أنهم خرجوا من مأزق سبب وجود الكون، فقالوا أن الكون يمكن أن يوجد بلا سبب أصلا أو أن يوجد نفسه بنفسه! وممن قال بذلك الفيلسوف البريطاني برتراند راسل وعالم الفيزياء ستيفن هوكنج ولورنس كراوس الذي قال: أنه لا يمكن التعويل مطلقا على شيء

اسمه مبادئ عقلية ضرورية، وذلك في سياق التسويـغ لفكرة كتابه (كونٌ من لا شيء) والتي تقوم على أن الكون، وإن كان ناشئا من العدم، إلا أنه بالإمكان أن يكون أحدث نفسه بنفسه! وتابعه على هذا الكلام مجموعة من "علماء" الطبيعة واحتفوا بكتابه!

هربوا من التناقض فوقعوا في الجنون! وحقيقة أيها الإخوة هذا الكلام، وإن كان نوعا من الجنون، إلا أنك تجد من يفاخر به ويتغنى بأسماء "العلماء" الذين ينظرون له، وهو ضريبة من ضرائب الإلحاد ونتيجة طبيعية له.

٢) كيف يُسقط الإلحاد المنهج (العلم) التجريبي؟

هؤلاء –وإن كانوا ينطلقون من تقديس العلم التجريبي ويقولون لا نؤمن بما وراء الطبيعة لأنه لا يمكن تجربته- إلا أن كلامهم ينتهي بهدم العلم التجريبي من أساسه!
فالاستكشاف كله قائم على رصد العلاقات السببية، واشتقاق الاستنتاجات العلمية المطلقة. أما حسب مبدأ هؤلاء، فإن كان مليون مجرب لتفاعل الحمض مع القاعدة نتج معه ملح وماء، فإنهم يمنعون أنفسهم من أن يشتقوا من ذلك تعميما أو حقيقة علمية مطلقة، بل لا مانع وفق

مبدئهم من أن ينتج في المرة المليون وواحد شيء غير الملح والماء! لأنهم إنْ اشتقوا "قاعدة" علمية وأصبحت هذه القاعدة "حقيقة مطلقة" فإنهم يكونون قد بنوا هذه القاعدة على ضرورات عقلية، كاعتبار أن للكون "سننا ثابتة"، وأن تفاعل هاتين المادتين "سبب" لتَكَوُّن الملح والماء.

هذه السنن **من** وضعها؟ وهذه التسبيب **من** جعله حقيقة راسخة ثابتة؟ العشوائية والصدفة لا يضعان سننا ولا يوجدان حقائق مطلقة، لذلك أنكروا المسلمات العقلية.

وعلى هذا، فالعلم التجريبي يصبح عبثاً، بل وتطبيق نتائجه يصبح عبثا! ففيروس الإيدز ليس سببا في الإيدز، إنما هما أمران اقترنا! والأمراض ليس لها أسباب، والعلاج ليس سببا للشفاء، ولو أن مرضا جديدا ظهر، فمن العبث ومضيعة الوقت أن تُنفق المليارات على معرفة سببه، فقد نكتشف في النهاية أن هذا المرض هو، كالكون، بلا سبب!

٣) هل الإلحاد يحترم العقل أم يسقطه؟

نقول للملحد: إن كانت الضرورات العقلية لا وجود لها، **فكيف** تفسر اقتناع الناس كلهم بها بما يدل أنها مكون عقلي راسخ لديهم؟ بل وعملك أنت والناس في الواقع بها؟ يجيبك

المنظور الإلحادي فيقول: بما أن الإنسان جاء بالتطور الدارويني، والمحرك في هذا التطور هو انتخاب الطبيعة للطفرات العشوائية التي تحقق للكائن العيش والبقاء، **فما** الذي يضمن أن هذه الطفرات طورت لنا عقولا قادرة على الوصول إلى حقائق الأشياء؟ بل هذه العقول يمكن أن تضللنا وتجعل بعض الأمور مسلمات عقلية بالنسبة لنا مع أنها مجرد وهم في الحقيقة، وإنما تخدعنا عقولنا لتحقق لنا البقاء ..

إذاً فالإلحاد يصل بصاحبه إلى أبعد من إنكار المسلمات العقلية: يصل به إلى التشكيك في مصداقية العقل البشري نفسه! نقول للملحد: إلحادك إذاً يُقر بأن عقلك يمكن أن يضللك، وألا يكتشف الحقيقة، **فكيف** تثق بعقلك ؟ أنت في إلحادك كله تقول أنك تستند إلى العقل، وإلحادك نفسه يطعن في مصداقية العقل، ومع ذلك كأنك تقول: أنا أصدق عقلي لأن عقلي المطعون في مصداقيته يخبرني أن أصدقه! هذه الإشكالية العميقة حول مصداقية العقل كانت حاضرة حتى عند دارون نفسه، والذي عبَّر عن حيرته وانزعاجه من هذه القضية حيث قال: "ينتابني دائما شك فظيع حول ما إذا كانت قناعات عقل الإنسان –والذي بدوره تطور من عقول كائنات أدنى- تتمتع بأية قيمة، أو تستحق أدنى ثقة"!

لذا فمن الغريب جدا أن يزعم الملحدون احترام العقل ويتهموا المتدينين بامتهان العقل! بينما حقيقة الأمر أن الإلحاد يقود في النهاية إلى هدم موثوقية العقل نفسه!
الملحد يعيب علينا إيماننا بالنبي ﷺ، والذي عُرف بالصدق، مع أننا لم نبنِ إيماننا على قوله عن نفسه أنه رسول الله فحسب، بل ببراهين خارجية على صدقه ونبوته.

وفي الوقت نفسه يصدق الملحد عقله المشكوك في مصداقيته وقدرته على الدلالة على الحقيقة لمجرد أن عقله قال له: (صدقني)!
مقولة " لا أحد يملك الحقيقة المطلقة " .
كيف خرج الإلحاد من هذا المأزق؟ مأزق الاعتماد على عقل يمكن أن يضلل عن حقائق الأشياء؟ أجابك الإلحاد فقال:
ومن قال أن للأشياء حقائق مطلقة أصلا حتى تُضَلِّلنا عقولنا عنها؟... ها **كيف** لعاد؟ قالوا: بل ليس هناك شيء اسمه حقائق الأشياء، وإنما هي قراءة حواس الإنسان لها.
كأن الشيء بلا لون ولا مانع من أن يراه كل إنسان بلونه الخاص، ولا سبيل لأحد أن يـُخَطِّئ الآخر، لأنه لا يستطيع أحد أن يدعي أن الآخر خالف "الحقيقة"!

لأن كل ما يسمى "حقيقة" إنما هو منتجٌ عقلي بشري، لا قيمةَ مطلقةَ له مستقلة عن أشخاصنا.
وحتى نفهم الفرق بين كون الحقيقة **مطلقة** و **نسبية:**
مطلقة، أي ليست نسبية، يعني هي كذلك في نفسها، يعني لا نحتاج أن نقول بعدها: هي كذلك بالنسبة لفلان. مثلا عندما نرسم خطاً بهذا الشكل فيأتي من يقول هما خطان، فإنا نقول له أنت مخطئ لأنك خالفت حقيقة مطلقة ، وهي أنه خط واحد.
بينما عندما نقول: هل هذا الخط مفهوم؟ فالجواب أن كونه مفهوم أو غير مفهوم ليس مطلقا، فهو مفهوم بالنسبة للياباني وليس مفهوما لغيره.
التسلسل الذي أدى إليه إنكار وجود الله انتهى باعتبار كل شيء نسبيا، وهو الذي أوجد البيئة المناسبة لمقولاتٍ مثل أن "الحقيقة لا يمتلكها أحد"، وأنه "ليس هناك حقيقة مطلقة"، وأن "الحقيقة نسبية". هي نسبية عندهم لأن القول بإطلاق الحقيقة وبأن للأشياء حقيقة يستلزم التسليم بوجود سننٍ هناك من سنها، وضرورات عقلية هناك من فطر الإنسان على ما يشبه "البرمجة" التي تقبلها.
وهم لا يريدون أن يسلموا بهذا كله.

ومع ذلك يردد بعض أبناء المسلمين عبارات نسبية الحقيقة على سبيل الانفتاح والعقلانية وهم لا يعلمون بأساسها وبتبعاتها!

ونقول لمن يردد هذه العبارة (لا أحد يمتلك الحقيقة المطلقة) هل عبارتك هذه حقيقة؟ إن قال (نعم): إذا فقد أقررت بوجود حقائق مطلقة..
وإن قال: (لا، أنا أراها حقيقة بالنسبة لي). فنقول له: (وأنا لا أراها كذلك، فلماذا تنكر على من يخالفك ويتمسك بالحقائق المطلقة وتعتبر ذلك جموداً ؟!).

هذه الميوعة والعدمية والعبثية أوجدت كذلك البيئة المناسبة لفكرة النص المفتوح، أي التعامل مع نصوص الشريعة كنص ليس له حقيقة واحدة يجب على المسلم السعي في إدراكها والعمل بها، بل الفهم نسبي وليس لأحد أن يخطِّئ الآخر!

٤) تناقض الملحدين

الملحدون الذين تهربوا من التناقض بإنكار السببية لا يجدون بُداً من أن يتناقضوا عمليا مع ما يدعونه، فالملحد إن ارتطمت سيارة بسيارته فقال له صاحب السيارة الأخرى: ضربُ سيارتي لسيارتك ليس سبباً في التلف الذي أصاب سيارتك، إنما هما شيئان وقعا باقتران دون علاقة سببية، فلا تطالبني بتعويض، **هل** يقبل الملحد؟...إن طعنه أحد بسكين ثم قال: سيلان دمك ليس سببه طعنتي..**فهل** يقبل؟ لا طبعا.

فالملحدون يمارسون الاعتراف بالمبادئ العقلية الضرورية رغما عنهم في حياتهم وعلومهم، لكن عندما تأتي المسألة للحقيقة الكبرى، وهي وجود الخالق عز وجل، فإنهم يتنكرون لهذه المبادئ!

٥) هل الأشياء هي الدليل على الله أم أن الله هو الدليل على كل شيء؟

تظهر تبعات الإلحاد حين أنكر كلا من العبارات المفتاحية **التسعة** في المقدمة الإيمانية القائلة: **[خلق] [الله]** السماوات والأرض **[بالحق]**، ووضع له **[بحكمته] [سننا ثابتة]**، وفطر الإنسان على **[فطرة]** تنتج له **[مسلمات عقلية ضرورية]**،ينطلق منها **[عقل الإنسان]** لاكتشاف **[حقائق الأشياء]**.

فلدى الملحد، لا الله ... فلا خلق ... ولا حكمة ... ولا سنن ثابتة ... ولا فطرة ... ولا مسلمات عقلية .... ولا عقلاً إنسانياً موثوقاً.... ولا حق ... ولا حقائق مطلقة! ... ولا نتائج علمية موثوقة يمكن تعميمها واستنتاج قواعد منها .... ولا لغة تخاطب عقلي مشتركة .... وينفرط عقد كل شيء في قولة تعالى : ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف :٢٨].

وهذا كله نتاج الالتزام بإنكار الله تعالى.

والذين توقفوا عند دركة من دركات هذا الهبوط فإنما هم تعاموا عن لوازم وتبعات إلحادهم وتناقضوا مع معتقداتهم.

مما سبق يتبين أنه لا تقوم حقيقة بغير الإيمان بوجود الله تعالى الذي له الكمال المطلق والذي أوجد في الإنسان حقائق مطلقة لا يتوصل إليها بنفسه.

ومن هنا نفهم العبارة العميقة لأهل العلم:"العلم بالله أصلٌ للعلم بكل معلوم".

فمن لم يدرك وجود الله تعالى فلن يتمكن برهانيا أن يؤسس لنظرية معرفية متماسكة.

وهذا معنى كلام قال ابن القيم الذي مختصره: "فإنكار صانع الكون وجحده في العقول والفطر بمنزلة إنكار العلم وجحده، لا فرق بينهما، بل دلالة الخالق على المخلوق عند العقول الزكية المشرقة والفطر الصحيحة أظهر من العكس"

يعني: الاستدلالُ بالخالق على الخلق أوضح من الاستدلال بالخلق على الخالق.

ثم قال: "وسمعت شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية يقول: كيف تطلب الدليل على من هو دليلٌ على كل شيء؟! وكان كثيرا ما يتمثل بهذا البيت: وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل".

إذاً أتضح لنا الجواب عن تساؤلنا فيما سبق : أثبتنا أن الإنسان لديه إقرار فطري بالخالق، لكن **هل** هذا الإقرار يعني بالضرورة وجود الخالق؟

فقد بينا في تبعات إنكار الضرورات الفطرية التي يجدها الإنسان من نفسه ضرورة.

وبه أيضا تدرك لماذا كانت القيمة المطلقة العليا في الإسلام هي الحق، الذي بغيره لا تقوم السماوات ولا الأرض.

وبه أيضا تدرك بعمق معنى قوله تعالى:
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ﴾
[غافر :٦٩].

ألم تر إلى الذين يكابرون في آيات الله الكونية والشرعية إلى أي مصير ينتهون وفي أي وديان الحيرة والضلال يتيهون؟!
كانت هذه مناقشة لدلالة البرمجة الفطرية للمسلمات العقلية على وجود الله تعالى.



أدعوك للغذاء



يقول عالم الفيزياء الملحد ستيفن هوكنج:

(الجنس البشري هو مجرد وسخ كيميائي موجودٍ على كوكب متوسط الحجم).

السؤال : **هل** هذه مبالغة من هوكنج أو رأي شخصي؟ **أم** أنها النتيجة الحتمية للإلحاد؟

هل للإنسان قيمة معنوية بدون وجود الله؟

هل للأخلاق أي قيمة بدون وجود الله؟

سنجيب عن هذه الأسئلة ونرى نماذج مخيفة من التردي الأخلاقي الذي يقود إليه الإلحاد.

تصور أنه جاءك على جهازك الخلوي رسالة من أخيك تقول: **(ندعوك للغذاء)**. **هل** هذه الرسالة لها معنى؟ طبعا. **هل** هي حق أم وهم؟ بل حق. **هل** لها قيمة ؟ نعم. **هل** تتصرف على أساسها؟ نعم.

تقول لزوجتك وأولادك: نحن مدعوون على الغذاء عند دار أخي، ثم لا تُحضروا الطعام . . . إلى آخره.

تصور في المقابل أنك نسيت جهازك الخلوي مفتوحا في جيبك مع مفاتيح البيت، فطقطقت المفاتيح على لوحة أحرف الجهاز في ذهابك وإيابك وقيامك وجلوسك. بعد ساعات استخرجت جهازك لتجري مكالمة فرأيت آلاف الأحرف العشوائية وفي وسطها جملة **(ندعوك للغذاء)**..

هل هذه الجملة لها كاتب يعلم ما يفعل؟ لا. **هل** لها قيمة؟ لا. **هل** تتصرف على أساسها؟ لا أيضاً. لأنه حتى لو ظهر شيء له معنى في هذه "الخربطات" فإنه لن يكتسب قيمة.

بالنسبة لمنكر وجود الله، كل القيم الأخلاقية التي يحس بها الإنسان الأصل فيها أن تكون مثل هذه "الخرابيش"، لا قيمة لها، ولا معنى لها، فلا يتصرف على أساسها، فقد جاءت بها -حسب معتقده- العشوائيةُ التي لا تدري ما تفعله، ولا تعد بشيء، ولا تلتزم بشيء.

في الإلحاد الذي يفسر وجود الكون تفسيراً مادياً بحتاً، لا مكان للقيم المعنوية أصلا.

لا حق ولا باطل، لا خير ولا شر... فهذه قيم معنوية لا تفسرها المادة.. وعندما يكون الإنسان ابن المادة، لا شيء إلا المادة، فلا معنى للرحمة، ولا للصدق، ولا للوفاء، ولا لبر الوالدين.

الإحساس بهذا كله إنما هو نتيجة طفرات جينية عشوائية كخرابيش الجهاز الخلوي!

في الإسلام:

يوجد خالق كامل الصفات، أوجد البشر ليعبدوه كونه بصفاته هذه مستحقاً لعبادتهم. هذا الإنسان الذي يعبد ربه يستحق التكريم تكريما يليق بمقام العبودية لرب كامل الصفات. لذا أمَرَ الربُّ الإنسانَ بأخلاق تنسجم مع صفاته. فهذا الخالق عدلٌ حرم الظلم على نفسه، فمفهوم أن يحرمه على خلقه :

عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ،عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربِه عز وجل أنه قال:" يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا " ، رحيم وأمر عباده أن يتراحموا. وقد فطرَ الخالقُ الإنسانَ على محبة هذه القيم وكراهية ما يضادها كالشر والظلم.

قد يغطي على هذه الفطرة أهواء الإنسان في إشباع رغباته وحب التسلط، لكن هذا لا يعارض أن الفطرة السوية هي الأصل فيه.

إذاً في الإسلام وجود هذه القيم مفسَّر، كونها لها قيمة مفسَّر، وحب الإنسان لها وكراهيته لما يضادها مفسر.

والتفسير لهذا كله هو **وجود الله**.

عندما ينكر الإنسان وجود الله تعالى فإنه يدخل في مسلسل التخبط الإلحادي البائس كالذي تكلمنا عنه سابقاً عن البدهيات العقلية.

لدى الملحد: لا خالق، ولا صفات كمال! ليس إلا طبيعةٌ أوجدَت الإنسان، وهذه الطبيعة مادية ليس لها صفات كمال معنوية، فلا يمكن وصفها بالعدل أو الحكمة مثلا، فلا مكان للقيم المعنوية في إنسان متولد عن هذه الطبيعة.
لكن .. **ماذا** عن شعور الإنسان بمحبة الخير والعدل وكراهية الشر والظلم ..؟ هي حسب الإلحاد طفرات جينية عشوائية جعلته يتوهم أن هناك خيرا ويحب ذلك الخير الوهمي وأن هناك شرا ويكره ذلك الشر الوهمي.
قيل لأحد كبار الملحدين ريتشارد دوكنز: (في النهاية، هل اعتقادك أن الاغتصاب خطأ أمر اعتباطي تماماً؟ كواقع أننا تطورنا بخمسة أصابع بدل ستة؟)
فقال دوكنز: (نعم، تستطيع قول ذلك)!
الذي سأل دوكنز عن الاغتصاب هو جاستن بيرلي Justin Brierley في مناظرة دوكنز مع عالم الرياضيات وفلسفة العلم جون لينوكس John Lennox.

أي كان يمكن للصدفة العمياء –التي يدَّعونها- أن تسير مسارا آخر ينتج عنها شعور الإنسان أن لا خطأ في الاغتصاب!
والأمر اعتباطي تماما، فلا يمكن وصف أي من الشعورين بأن الاغتصاب خطأ أو مقبول، لا يمكن وصفه بأنه حق أو باطل! فهذا الشعور إنما هو وليد الصدفة العشوائية.
إذاً فالنزعة الأخلاقية عند منكر وجود الله لا يُعرف مصدرها، ولا يمكن وصفها بحق أو باطل، ولا هي متوافقة مع صفات موجودٍ أعلى، ولا حساب أخروي عليها، فلا مصدر ولا معنى ولا ثبات ولا حساب. فهي ليست مطلقةً إذاً.
أي لا يمكن وصف أي خلق بأنه ممدوح بإطلاق أو مذموم بإطلاق.

إلى **أين** وصل الملحدون نتيجة لذلك؟ تعالوا نرى نماذج من كلام مشاهيرهم ومنظريهم:
- البروفيسور لورنس كراوس سُئل في مناظرة بعنوان:
(الإسلام والإلحاد: أيهما أكثر منطقية؟) عن سبب كون زنا المحارم خطأ بالنسبة له كملحد، يعني يا كراوس **ما** لم تستند إلى قيم مطلقة على أساس وجود الله فعلى **أي** أساس تخطئ زنا المحارم مثلا ؟

فماذا كان جوابه؟

تعالوا نرى: من **البداية** حتى **الثانية ٢٢** من هذه الفيديو:

https://www.youtube.com/watch?v=Zp7dRpWIdBo

إذاً يقول لك: "ليس واضحا لدي أنه خطأ".

علق دوكنز في تغريدة له على ما جرى للورنس كراوس في تلك المناظرة بقوله: (سأل أحد الإسلاميين: "لماذا زنا المحارم خطأ؟". حاول لورنس كراوس أن يستعمل المنطق في جوابه. المنطق؟ اللؤلؤ ملقى أمام خنزير).

إذاً أصبح "منطق" كراوس لؤلؤا في نظر دوكنز لكن مشكلته أن الذين يستهجنه خنزير لم يقدر قيمة هذا المنطق!!

دوكنز هذا هو نفسه الذي قال في كتابه (وهم الإله) فصل (أخلاق روح العصر): (نحن لا نغش، لا نقتل، لا نرتكب زنا المحارم).

فهو إذاً يرى مسألة زنا المحارم نسبية، اختياره الشخصي ألا يمارس هذا الزنا، لكن يدافع عن وجهة نظر زميله كراوس، ويعتبرها منطقاً!

دعونا نرى نماذج أخرى من الترجي الأخلاقي جمعها الأخ رشاد القرني في برنامج (ارجع لأصلك):
من الدقيقة: **١:٥٧ - ٢:٥٥**
https://www.youtube.com/watch?v=_qMv30xfrCE

هذا عدا عن دفاع سام هارس عن الاغتصاب واعتباره جزءا من الاستراتيجية التطورية! ودفاع دوكنز عن الخيانة الزوجية ورفض تسميتها خيانة على اعتبار أنه ليس لأحد الزوجين أن يدعي ملكية خاصة في جسد الآخر!
كما يؤيد البروفيسور بيتر سنجر قتل المواليد الجدد المصابين بإعاقة إذا كان هذا لصالحهم وصالح والدَيهم.

أيضاً، ديفيد سلفرمان رئيس جمعية الملحدين الأمريكيين صرح في مناظرة مع فرانك توريك بأن القيم الأخلاقية كلها نسبية ولا وجود لقيم أخلاقية مطلقة. قيل له: بناء على ذلك فإن تعذيب الأطفال وأكلهم مثلا ليس خطأ بإطلاق، وإنما هو بالنسبة إلى شخص ما، فأقر سلفرمان بذلك! يعني

ممكن لشخص أن يعذب طفلا، و يشويه حيا ويأكله، ولا يكون بذلك مخطئا!
فهو إن قال بأنه خطأ بشكل مطلق فإن ذلك يتطلب منه التسليم بوجود معانٍ مطلقة، وهي بدورها تستلزم **وجود الله** كما بينا.

ينتج عن الإلحاد أن الطفرات الجينية العشوائية قد تُنتج أناسا مختلفين جينيا، وبالتالي فمشاعرهم مختلفة جدا اتجاه سلوك واحد كالاغتصاب أو التعذيب، والسبب مادي بحت، ولا يمكن وصف أيٍّ من مواقفهم بأنه حق أو باطل. وبالتالي، فلا يمكن تجريم أو تخطئة إنسان مهما كان فعله "لا أخلاقياً"، لأن بإمكانه أن يقول: (هو لا أخلاقي بالنسبة لك، لكنه أخلاقي بالنسبة لي)!

هناك أناس في مجتمعاتنا المسلمة يستخدمون في مجال الأخلاق عبارات النسبية وأنه لا مكان للحقيقة المطلقة، ويظنون أنه حتى النصوص الشرعية الواضحة كلها محل خلاف وليس فيها قطعيات.

قد يكون من هؤلاء من يشمئز من مقولات الملحدين التي ذكرناها، لكنه لا يلاحظ أنها النتيجة الطبيعية لفكرة النسبية الأخلاقية التي يتكلم بها!

إن لم تكن القيم مستندة إلى نور الوحي، فالضياع قولة تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾

[النور: ٤٠].

طرح الملحدون التساؤل التالي:

كيف يمكن تحديد الخير والشر والقيم الأخلاقية الفاضلة دون الإيمان بإله؟

وسؤالهم هذا مغالطة منطقية، لأنه بلا إله فليس هناك قيم معنوية، لا خير ولا شر ولا فضيلة ولا رذيلة، لكنهم تهربوا من هذه الحقيقة، فهم يعلمون أنه لا الإنسان ولا المجتمعات تستطيع العيش بلا أخلاق.

وبدأوا بتأليف كتب للإجابة عن سؤالهم الخاطئ أصلا!

منها:

١. The Moral Landscape: How Science Can Determine Human Values

(المنظور الأخلاقي: كيف يمكن للعلم أن يحدد القيم الإنسانية)

٢. The Science of good and Evil (علم الخير والشر)
٣. Why Good is Good? (لماذا الجيد جيد؟).
٤. Can we be Good Without God? (هل يمكن أن نكون جيدين بدون الله؟)
٥. Moral Minds (عقول أخلاقية)

لكنها كلها محاولات بائسة، لأنها بماديتها البحتة وبتهربها من حقيقة أن لا مكان للقيم المعنوية بغير إله.
فكأنها تقول: (ما هو التفاعل المخبري المناسب لمعرفة الخير من الشر والعدل من الظلم؟)!

لعله أصبح واضحا بعد هذا العرض أن ستيفن هوكنج حين قال: (الجنس البشري هو مجرد وسخ كيميائي موجودٍ على كوكب متوسط الحجم) أنه كان منسجما مع إلحاده، وأراح نفسه من البحث عن أخلاق لهذا "الوسَخ"؟!

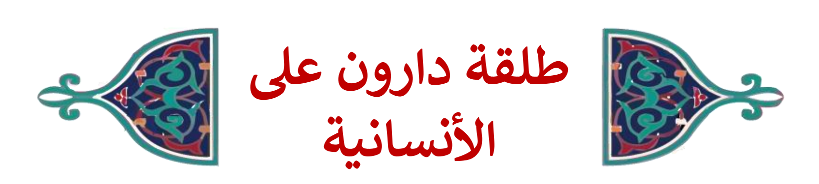
قارن ذلك بقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾

[الإسراء : ٧٠].

كرَّمه ليكون لائقاً بمقام العبودية لإله كامل الصفات.

- في هذه الجزئية بينا دلالة النزعة الأخلاقية على وجود الله تعالى، وأنه لا أساس للأخلاق في ظل إنكار وجوده سبحانه.
لكن، ليس هذا فحسب . .

بل في الجزء القادم سنبين أن الإلحاد لا يترك أتباعه محايدين تجاه الأخلاق، بل يضعهم على **مفترق طريق**:
فإما أن يختاروا بعض الأخلاق الحميدة فيناقضوا أنفسهم ويخونوا إلحادهم وداروينيتهم؟
أو أن ينسجموا مع إلحادهم وداروينيتهم فيتحلوا بأسوأ الأخلاق وأشدها إجراماً...؟
حقائق مهمة صادمة!



طلقة دارون على الأنسانية

تصور أننا في بلد يكثر فيها القرود ويشاطرون السكان البشريين لقمة العيش ، ومع ذلك أطعمنا هذه القرود، زودناها بالمساكن، عالجناها، وعاملناها كالبشر تماماً، وكان هذا كله على حساب البشر الحقيقيين، فلم نوازن بين الرفق بالحيوان والرفق بالإنسان، فتكاثرت القرود وتلاشى البشر . .

هل يكون تصرفنا هذا "أخلاقياً"؟

ما علاقة هذا بالإلحاد؟ هذا ما سنعرفه . .

تكلمنا سابقاً عن دلالة النزعة الأخلاقية على وجود الله، وأن المنكر لوجوده تعالى يفقد أي أساس للأخلاق.

سنرى أيضاً أن هذا الإنكار (يعني هذا الإلحاد) لا يقف عند هذا الحد، بل هو سبب في الإجرام والعدوان.

الملحدون حين أنكروا الله لجأ معظمهم إلى ما يعرف بـ"نظرية التطور" لدارون كتفسير لوجود الإنسان.

وسنناقش هذه النظرية نقاشا علمياً في الموضع المناسب بإذن الله.

وإنما يعنينا هنا الإشارة إلى بعض النتائج الأخلاقية للتطور الدارويني.

لنرى: هذا الذي تبنى التطور كبديل عن وجود الله، **هل** زوده هذا البديل بأي أساس للأخلاق؟ **أم** على العكس تماما؟

التطور الدارويني يقوم على أن الكائنات جاءت عبر تطور خلية أولية بطفرات عشوائية وانتخاب طبيعي. **الانتخاب الطبيعي** يعني أن البقاء في هذه الطبيعة هو للكائن الأصلح في قدرته على التكيف مع الطبيعة. والبقاء للأصلح يعني الصراع مع الكائنات الأخرى الأحط في السلم التطوري.

فالصراع هو قانون الطبيعة حسب داروين. نشر ذلك في كتابه (أصل الأنواع).

ثم في كتابه (أصل الإنسان) سحب داروِن نظريته على الإنسان، واعتبر أنه تطور من أصل شبيه بالقرود. وحين يتكلَّم داروِن عن الإنسان الأرقى تطوريا فإنما هو يعني الأوروبي الأبيض، أما باقي أجناس الإنسان فهم عند داروين في مرحلة وسطى بين القرود والغوريلا وسلفهم وبين الإنسان، يعني لم يكتمل تطورهم بعد!

بنى دارون ذلك على كون هذه الأجناس أقرب من الأوروبيين إلى القرود في نظره في بعض الصفات، كلون البشرة أو محيط الرأس أو تفلطح الأنف أو بروز الجبهة للأمام أو كبر حجم الفك أو الشفتين.

ثم استنتج دارون أن الأعراق الراقية من الإنسان لن تتابع الارتقاء التطوري إلا من خلال الصراع لإبادة الأعراق المنحطة، وهذا هو أساس الداروينية الاجتماعية (Social Darwinism)، والتي تعني تنزيل قوانين داروين في الأحياء على علم الاجتماع.

وعليه، فلا مانع أن تقوم الأجناس التي تعتبر نفسها أكثر تطورا –داروينيا- باصطيادنا في الطرقات وسلب ممتلكاتنا وتسخيرنا لمنفعتهم تماماً كما نفعل نحن بالحيوانات، لأننا حسب دارون مجرد حيوانات أكثر تطورا من سائر الحيوانات، فما نفعله نحن بالحيوانات يمكن أن يفعله بنا من هم أكثر تطورا منا!

لحظة . . !

هذا ليس مجرد افتراض! هذا حصل بالفعل! **كيف**؟

يقول تشارلز داروين في كتابه (أصل الإنسان) في الفصل السادس: (في فترة مستقبليةٍ ما ليست ببعيدة إذا ما قيست

بالقرون، ستقوم الأجناس المتحضرة من الإنسان وبشكل شبه مؤكد بإبادة واستبدال الأجناس الهمجية عبر العالم)!
أطلق دارون بأفكاره هذه الرصاصة على إنسانية الإنسان، واستند عليها الأوروبيون للقيام بإبادات جماعية وحملات "تطهير عرقي"خاصة ضد الإفريقيين وسكان الأمريكتين وأستراليا الأصليين، فهؤلاء أقرب للحيوانات في نظر الداروينيين.
صحيح أن كثيراً من الممارسات الإجرامية كانت تتم قبل انتشار فكرة التطور الدارويني، لكن هذه الفكرة أراحت ضمائر المجرمين، فقد أصبح لجرائمهم "مبرر علمي"! فاستمروا في أفعالهم بل وتصاعدت وتيرتها.
ملف الإجرام الذي مورس كبير جدا لا يتسع له المقام .
لكنْ . . . إشاراتٌ سريعة تقرب لك الصورة:
١. بعد فكرة التطور الدارويني بدأت حملات إبادة سكان أستراليا الأصليين، في أواخر القرن التاسع عشر، وقال نائب رئيس الجمعي الملكية في تاسمانيا (إحدى جزر أستراليا) جيمس برنارد عام ١٨٩٠: "لقد أصبح مسلمة بديهية أنه، ووفقا لقانون التطور والبقاء للأصلح، فإن الأعراق الأحط من الجنس البشري يجب أن تفسح المجال للأنواع الأعلى".

وسنقوم بوضع رابط للتوثيق عند ذكر المعلومة وفي التعليقات، لأن الحقائق صادمة تكاد لا تُصدق !
http://onlinelibrary.wiley.com/.../j.1467-8497.1993..../abstract
(كلام برنارد في أول "المنشور العلمي"!)

وشملت الحملات سرقة أعداد كبيرة من الأطفال الأستراليين الأصليين، وتم إرسال أعداد كبيرة منهم إلى متاحف التاريـخ الطبيعي في أمريكا وبريطانيا لتحديد ما إذا كانوا يشكلون "الحلقة المفقودة" في طريق تطور الحيوان إلى إنسان!

وقد اعتذر رئيس وزراء استراليا كيفين رود للأجيال المسروقة قبل تسع سنوات فقط في ١٣ فبراير عام ٢٠٠٨ ! وانتشر الخبر بعنوان:
" الاعتذار الرسمي من كيفين رود للأجيال المسروقة "
http://www.news.com.au/.../n.../bc17b0684b1df369a87a4d3b3dd1e41c

٢. هذا بالإضافة إلى إحداث العقم بشكل قسري، والذي كان يمارسه الداروينيون عبر العالم على العرقيات التي يعتقدون أنها أحط تطوريا أو الذين يحملون صفات وراثية غير مرغوب بها، وبالتالي فهؤلاء عبء على الطبيعة، فوجب إحداث العقم فيهم لينقرضوا ويتحقق تحسين النسل، أو ما يعرف بالـEugenics!

وللعلم، فقبل عامين فقط، في فبراير ٢٠١٥، وافق نواب البرلمان الأميريكي على حصول كل ضحية ما زال حيا من ضحايا التعقيم القسري على ٢٥ ألف دولار – وذلك بعد مارثون طويل نتيجة ما أقرته المحكمة العليا الأمريكية عام ١٩٢٧ من قانون التعقيم لتحسين النسل في ولاية فرجينيا!

http://www.scielo.br/scielo.php...

يعتذرون عن الأجيال المسروقة، ويعوضون عن التعقيم..لكن السؤال الذي يطرح نفسه: هل هم بذلك يتبرؤون من التطورية الداروينية ويتراجعون عنها ؟ هل هم باعتذارهم يقرون بأن الناس جميعا سواسية من الناحية البيولوجية ؟ أبدا! بل لا زالوا يتبنون الداروينية ولا زالت عقيدتُها في نفوسهم!

٣. وبدافع الداروينية أيضا، أقنع البيض بعض القبائل الإفريقية أنها أرقى تطوريا من قبائل أخرى، لاختلاف طول الأنف أو ارتفاع القامة أو لون العينين! وكان ذلك أحد الدوافع لحروب إبادة بين هذه القبائل التي كانت تعيش بسلام، كما في مأساة رواندا بين التوتسي والهوتو.

٤. في الأخلاقيات الداروينية فإنه لا مانع لأمة أن تضع من تراهم أقل منها تطورا في "حدائق إنسان" تماما كما نضع الحيوانات في (حديقة الحيوان)! والمفاجأة أن هذا ليس افتراضاً، بل حصل بالفعل، بل وشكَّل ظاهرة أميريكا في دول أوروبية عديدة! تجد عنه معلومات وصوراً على النت تحت عنوان (Human zoos)، أي: (حدائق الإنسان)!
هناك أرشيف صور مؤلم، ومقالات كثيرة عن هذا الموضوع، مثل ذلك الذي بعنوان: (التاريخ المنسي لحدائق الإنسان)، لكنها مقالات تحتوي صوراً مكشوفة، لأن بعض "حدائق الإنسان" كانت تمنع هؤلاء البشر من ارتداء الملابس، بل تتركهم عراة تماما، رجالا ونساء، صغارا وكبارا، والمطلوب منهم أن يخرجوا لزوار الحديقة ويستديروا ليتأمل هؤلاء "الراقون" تلك المخلوقات على اعتبار أنهم حيوانات!

مثال : طفلة في بروسلز ببلجيكا عاملها البيض على أنها أحط منهم في السلم التطوري، فكانوا يحتفظون بها في قفص ويطعمونها كالحيوانات.
و أيضاً مثال آخر : أوتا بنغا عام ١٩٠٦، والذي قتل التجار أهله وقبيلته في إفريقيا ليبيعوه إلى الداروينيين الذين اعتبروه دليلا على التطور وكان مطلوباً منه أن يتصور مع الشمبانزي في حديقة برونكس في نيويورك. ومثله كثير .. !
وقائمة المآسي الداروينية تطول.

بل لم يسلم الداروينيون من شر أنفسهم، وباسم الداروينية أيضاً! فبعضهم رأى نفسه أرقى من البعض الآخر تطورياً!
فبعد أربعين عاما من كتاب دارون (أصل الإنسان)، قامت الحرب العالمية الأولى.

ما علاقة الحرب العالمية؟ **أليس** سببها حسب ما تعلمناه في المدارس هو اغتيالَ ولي عهد النمسا وزوجته من قِبل طالبٍ صربي؟
هذه كانت مجرد شرارة، لا تفسر اشتعال أوروبا كلها خلال أيام لتنخرط في هذه الحرب.

إنما كانت هناك عوامل شحنت النفوس للحرب: أسباب دينية، سياسية وغيرها.

ومن أهم الأسباب انتشار الداروينية الاجتماعية التي هيأت كثيراً من الأوروبيين المؤمنين بها لدخول الحرب والتصرف فيها كحيوانات برية، فالصراع وسفك الدماء هو قانون الطبيعة عندهم!

وقد ذكر هذه الدور الدارويني في الحروب كثيرٌ من الكتاب، كالكاتب البريطاني جيمس جول في كتابه: (منابع الحرب العالمية الأولى)

وكذلك رتشارد هفستاتر في كتابه: (الداروينية الاجتماعية في الفكر الأمريكي)، والذي أُلف أثناء الحرب العالمية الثانية.

بل وأنتج الفكر الدارويني كبار السفاحين كهتلر، الذي أسس النازية على تميُّز العرق الآري الألماني كما في كتاب (الداروينية وهولوكوست العرقية النازية).

وستالين كما في كتاب (علامات في حياة ستالين) لياروسلافسكي، والذي جاء فيه:

"في سن مبكرة جدا، وبينما كان لا زال تلميذا في المدرسة الكنسية، نضج لدى الرفيق ستالين العقل النقدي والمشاعر الثورية، حيث بدأ القراءة لداروين وأصبح ملحدا"

E. Yaroslavsky, Landmarks in the Life of Stalin (Moscow: .Foreign Languages Publishing house, 1940), pp. 8-12

وقبل عامين، نشرت الـ CNN الأمريكية تقريرا بعنوان:
(الحرب: مظهر من مظاهر الداروينية الاجتماعية)، لخص إلى العبارة التالية:
(عندما تلعب الداروينية الاجتماعية في غابة السياسات الدولية، فإن الحروب تبدو حتمية).
http://ireport.cnn.com/docs/DOC-1268775
هنا سيقول لك الملحد: (هناك في المقابل حروب لا تُحصى بدوافع دينية).
أولاً: لا يعنينا المقارنة بالأديان بعمومها، فمنها الحق ومنها المحرف ومنها الباطل. لكن أقول هنا: نحن نتكلم عن داروينيةٍ الحربُ فيها هدف بحد ذاتها، ولا أخلاق لها ولا ضوابط، وليس هذا سوء ممارسة لها، بل هي كذلك، هذا فكرها.
أما الحروب في الإسلام فسنناقش بالتفصيل بإذن الله إن كانت هدفا بحد ذاتها، وما أهدافها وضوابطها وأخلاقياتها.

ما القيم التي ينادي بها كثير من الملحدين الداروينيين هذه الأيام؟

الحرية، المساواة، حقوق الإنسان، حقوق المرأة.

تعالوا نرى وضع المرأة حسب الأسس "العلمية" الداروينية:
كان دارون قد بذر بذور وصف المرأة بالدونية تطورياً.
ففي كتابه (أصل الإنسان) عقد فصلاً بعنوان: (القدرات الذهنية للرجل والمرأة) وقال فيه عن بعض خصائص المرأة: (هي خواص الأعراق الأدنى).
ثم جاء العالم الفرنسي المعروف جوستاف لبون ليقول في منشور علمي في المجلة العلمية:
(Revue d'Anthropologie)
المجلد الثاني العدد الثاني عام ١٨٧٩ وما سأقوله هنا غريبٌ صادم، لذلك أضع لك المرجع هنا فراجعه، وقد راعيت الترجمة الحرفية لما ورد في النسخة الإنجليزية من المجلة مع اختصار فقط. وهو نقل طويل سأقول في آخره انتهى لتعرف أنه انتهى.
يقول جوستاف لبون:
(في أكثر العرقيات الذكية، كما في الباريسيين، هناك عدد كبير من النساء اللواتي حجم أدمغتهن أقرب إلى الغوريلات من الرجال الأكثر تطورا، وهذه الدونية واضحة جدا.

كل علماء النفس الذين درسوا ذكاء النساء يدركون اليوم أنهن يمثلن الأشكال الأكثر تدنيا من تطور الإنسان، وأنهن أقرب للأطفال والسذج منهن للرجال البالغين المتحضرين. بلا شك هناك نساء متميزات، أرقى بكثير من الرجل المتوسط، لكنهن استثناء، كولادة أي مخلوق مشوه، على سبيل المثال غوريلا برأسين.
وبالتالي، فيمكننا أن نهمل وجود هؤلاء النساء تماماً). .
انتهى.
https://archive.org/.../AnatomicalAndMathematicalResearchesIn...
وأعتذر لأخواتي القارئات، لكن كما يقال: ناقل الكفر ليس بكافر.

وللدكتور جيري بيرغمان عدة مقالات تبين دونية المرأة في النظرة الداروينية، وهي مترجمة في كتاب
(المرأة بين الداروينية والإلحاد).

مما سبق أظنه أصبح واضحاً أنه على أساس التطور الدارويني الذي يتبناه الملحدون، لا مساواة ولا حرية ولا حقوق إنسان ولا حقوق مرأة! فهذه القيم التي ينادون بها، تهدمها داورينيتهم!

تعالوا الآن إلى مناقشات مع الملحد:

١. سيقول بعض الملحدين: نحن لا نتفق مع كل هذه التصرفات التي تمت باسم الداروينية والإلحاد، بل نؤمن بقيم المساواة بين البشر.

لكن .. **السؤال لهم** حينئذ:

ألا تخونون داروينتكم بهذا؟ أنتم بهذا تحيدون عن "النتائج العلمية لنظرية دارون" في نظركم- تحت وطأة انتشار شعارات حقوق الإنسان وحقوق المرأة.

فحسبَ داروينيتكم، عليكم أن تكونوا أوفياء للصراع، قانون الطبيعة الذي جاء بكم إلى هذه الدنيا، وألا تخونوا "الطبيعة العمياء" التي جاءت بكم وألا تمنعوها من السير قدما في مشروع الانتخاب الطبيعي للأقوى!

في الداروينية ليس هناك أي مبرر لتحلي الإنسان بأيٍّ من الأخلاق، بل إن الصراع الدارويني يتطلب من العرقيات التي ترى نفسها "أرقى" تطوريا أن تتحلى بأخلاق الأنانية والطمع والاستئثار والاعتداء على العرقيات "الأحط" منها لتبيدها وتتكاثر على حسابها!

أنت أيها الملحد أمام أحد خيارين:

١. إما أن تتبع أسلافك هؤلاء وتتبع نهجهم الإجرامي، عفوا! الأخلاقي حسب داروينيتكم!
٢. أو أن تُقر بالقيم الأخلاقية وقيم المساواة بين البشر من حيث الأصل، وترفض الممارسات الداروينية المذكورة.
وحينئذ فأنت تناقض نفسك! لأن تفسيرك المادي للكون لا يصلح كأساس للقيم المعنوية كما بينا في الحلقة الماضية، ولأن اقتراضك لأخلاقٍ من خارج منظومتك الفكرية المادية هو اعتراف ضمني منك بفشل منظومتك المادية الداروينية وعدم كفايتها في تلبية حاجات الإنسان.

إنك أيها الملحد حين تتبنى قيما إنسانية في التعامل مع كافة الأجناس دون تفرقة، وعندما تتبنى قيمة الرحمة بالضعفاء، تكون قد مارست ممارسات لا أخلاقية حسب داروينيتك! تكون قد فعلت كما في المثال الذي ضربناه أول موضوعنا : سمحت لكائنات أدنى في السلم التطوري بالتكاثر على حساب الكائنات الأرقى!
نحن إن اعتنينا بالقرود على حساب الإنسان لم يكن ذلك سلوكا أخلاقيا. داروينيتك تجعل رحمتك بالأجناس الأخرى والضعفاء والمعاقين تبدو مثل هذا السلوك!

انظر إلى علمائك الذين انسجموا مع داروينيتهم ولم يناقضوا أنفسهم:

١. يقول الفيلسوف الألماني ألكسندر تيلا (Alexander Tille) في كتابه (من داروِن إلى نيتشه): "من الخطأ الشديد مجرد محاولة منع الفَقر أو الإفلاس أو مساعدةُ الضعفاء أو محدودي الإنتاج.

مجرد مساعدة هؤلاء خطأ جوهري في النظرية الدراوينية، لأنه يتعارض أساسا مع الانتخاب الطبيعي"

.(From Darwin to Nietzsche 1895)

٢. وطبقاً لهربرت سبنسر فإن: "فكرة وسائل الوقاية الصحية وتدخلَ الدولة في الحماية الصحية لمواطنيها وتلقيحهم تعارض أبسط بديهيات الانتخاب الطبيعي، وكذلك مساندة الضعفاء أو محاولة حماية المرضى والحرص على بقائهم!"

(Social Status, p.414-415)

هؤلاء علماؤك انسجموا مع نظريتهم! **بماذا** ترد عليهم؟

وبأي حقٍّ تخطئهم؟

وعلى **أي** أساس علمي تبني تحلِّيك بالأخلاق الحميدة؟

وقد وصف ريتشارد فيكارت مثل هذا التفكير بقوله:
(لقد نجحت الداروينية أو تأويلاتها الطبيعية، في قلب
ميزان الأخلاق رأساً على عقب، ووفرت الأساس العلمي
لهتلر وأتباعه، لإقناع أنفسهم ومن تعاون معهم،
بأن أبشع الجرائم العالمية، كانت في الحقيقة فضيلة
أخلاقية مشكورة).

Richard Weikart, "From Darwin to Hitler", Palgrave (Macmillan 2006, p.215)

ثم إذا ساويتم أيها الداروينيون بين الإنسان السليم والمعاق
والذكي والغبي والذكر والأنثى..
فبأي مبرر عقلي وقفتم عند هذا الحد؟..
لماذا لا تتابعون فتساوون الإنسان بالشمبانزي والغوريلا
وسائر الكائنات القريبة من الإنسان تطوريا حسب
معتقدكم؟..
خاصة وأنكم لا تؤمنون بقيمة روحية مميزة للإنسان تميزه
عن الحيوانات.
يقول فرانسيس فوكوياما في كتابه (نهاية التاريخ) ما
خلاصته: (إننا لو كنا نؤمن حقًا أن الانسان مجرد كائن في
سلسلة حيوانية، يخضع لقوانين الطبيعة، ليست له قيم
متجاوزة، فإنه لابد أن تتساوى الكائنات جميعًا في الحقوق ،

وبالتالي لا يُسمح لنا بالدفاع عن الحقوق المساواتية فإما طبقية متوحشة أو مساواتية مستحيلة).
(فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ، ترجمة حسين أحمد أمين، الطبعة الأولى ١٩٩٣م، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ص٢٥٩.).

٢. يقولون لك: هناك ملحدون أخلاقهم حسنة.
فنقول: ليس سؤالنا عن إمكانية أن يكون الملحد حسن الاخلاق أو المؤمن سيئ الأخلاق، بل السؤال العقلاني هو:
هل الإلحاد يؤدي إلى الأخلاق الحسنة؟
لا شك أن ما لدى بعض الملحدين من أخلاق حسنة ليس سببه إلحادهم فالاعتقاد بأننا في هذه الحياة بلا هدف، بلا رقيب، بلا جزاء على أعمالنا خيرها وشرها.

هذا الاعتقاد لا يمكن أن يكون دافعاً نحو الأخلاق الحسنة.

لكن . . الإنسان في النهاية يتأثر بمجموعة عوامل، كالتربية في الصغر والبيئة المحيطة، وليست القناعة الإلحادية هي العامل الوحيد في صياغة الأخلاق.

أما الإيمان **بوجود الله** إيماناً صحيحاً ضمن التصور الإسلامي فإنه يدفع نحو مكارم الأخلاق ، وإذا كان لدى المؤمن سوء

خلق فهذا لنقص في إيمانه، لا أن الإيمان هو الذي تسبب في سوء الخلق أو أدى إليه.
الملحد ينسجم مع إلحاده إذا تحلى بأسوأ الأخلاق، ويمارس فصاماً نفسياً ويخون ماديته إذا تحلى بمكارم الأخلاق!

٣. قد يقول الملحد:
العلم الحديث يساعدنا في إبطال أخطاء نظرية دارون التي أدت إلى تفرقة وطبقية، دون هدم النظرية من أساسها.
أعود وأؤكد أن هذا ليس مقام تفنيد التطور الدارويني، لكن كجواب على هذه النقطة نقول:
التطور الدارويني يؤكد على أن كل الكائنات بما فيها الإنسان هي في تطور مستمر، وهذا يلزم منه وجود أعلى وأدنى في أعراق الإنسان الموجودة حاليا ، هذا لا خلاف عليه بين الداروينيين.
قد يقع الخلاف بينهم على معيارية هذا التفاضل التطوري، هل هو حسب حجم الجمجمة أو لون العينين أو بروز الجبهة أو حجم الأنف أو الذكاء أو المهارات أو البنية النفسية... إلى آخره.

لكن من حيث المبدأ، لا بد من وجود أدنى وأرقى في الأعراق البشرية حسب الداروينية، مما يؤدي حتماً إلى التفرقة البغيضة التي رأيناها.
تفهم بعد هذا كله نعمة تأكيد الإسلام على مساواة البشر بعضهم ببعض من حيث الأصل.
قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات : ١٣].
(أتقاكم) : فجعل مجال التنافس أمرا يملك الإنسان أن يسعى لتحصيله: التقوى، لا لون البشرة...ولا حجم الشفتين...ولا تفلطح الأنف!
وتدرك بعد هذا كله نعمة الإسلام الذي يقول نبيه صلى الله عليه وسلم كما في مسند الإمام أحمد:"لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأبيض على أسود، ولا لأسود على أبيض : إلا بالتقوى"، ويقول:"النساء شقائق الرجال".
فالحمد لله الذي هدانا إلى أننا لم نوجد في هذه الأرض من أجل الصراع، بل **لعبادة الله**، الذي جعل من أهم وسائل عبادته إحسانَ الإنسان للناس، والرحمة بضعفائهم وإيثارهم على نفسه.



لماذا نحنُ هنا في هذة الحياة

لماذا أنا هُنا في هذه الدنيا ؟

مالغايه من وجودي ؟

إلى أين المصير بعد الموت ؟

أسئلة فطرية غائيّة ، أي نتسائل بها عن الغاية لوجودنا ، أسئلة تميزنا عن الحيوانات التي لا تحركها إلا الغرائز. هذا المكون الفطري الشعور بالغائية هو رحمةٌ و عذاب ، كما سنرى . .

رحمة في المنظور الإيماني، لأنه يدفع الإنسان إلى البحث عن الجواب فينجذب إلى الدين الحق. الذي يجيب عن هذه التساؤلات اجابات شافية تضمي العطش و تقنع العقل فيتصل الإنسان بربه و يستمد من نور الوحي الخالص، و يصبح كمركبة كانت تائهة في الفضاء ثم أتصلت بمصدرها و غايتها فأصبحت تسير وفق خطة مرسومه لترسو بأمان.

لكن هذا المكون الفطري بالمقابل عذابٌ للملحد لأنه يثير تساؤلات لا جواب لها ، و إذا حاول الجواب فإنه سينتهي

بالشعور بالعدمية و اللا معنى و اللا قيمة. سنرى لاحقاً نموذجاً من هذا العذاب ثم نرى تخبطات الملحدين في التهرب من هذا العذاب ، ثم نرى كرامة الإنسان بالإيمان و عدم كرامته في الإلحاد.

ويليام بروفاين بروفسور تاريخ علم الأحياء من جامعة كورنيل هو شخصٌ ملحد
إلى **ماذا** قاده الإلحاد ؟
تعالوا نرى ماذا قال :

"لا ألهة ، لا حياة بعد الموت ، لا قاعدة مطلقة للأخلاق ، لا معنى نهائي للحياة ، و لا إرادة حرة للإنسان.
هذة كلها مرتبطة بعمق بالمنظور التطوري .
أنت هنا اليوم و سترحل غداً ، و هذا كل ما في الأمر."

إذاً بروفاين يقول لك مثل ما قال الأولون ، قال تعالى :﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ [الجاثية :٢٤].
و يقرّ بأن هذا انعدام أي معنى أو غايه للحياة .

بروفاين كان قد شُفي من سرطان الدماغ ، لكنه يتوقع عودة المرض .

إلى **ماذا** قاده إلحاده في التعامل مع هذا التوقع ؟

تعالوا نرى ماذا قال :

" حسناً ، أنا لن أجلس بائساً . . مثلما فعل أخي الأكبر في السنة الماضية ، و هو كان يموت من مرض لو جيرج ، و أراد للغاية أن يموت ، لكننا لم نستطع أن نساعده ليموت ، أنا لا أريد أن أموت بهذة الطريقة ، أنا سأطلق النار على رأسي قبل أن أصل لتلك المرحلة . "

هذه النتيجة إذاً ، بما أنه لا غاية و لا معنى للحياة ، فإما أن تكون هذه الحياة جميلة جمالاً مادياً بهيمياً و إلا فمن الأفضل أن أنهيها بنفسي.

لذلك نقول سؤال الغاية - عذابٌ لمنكر وجود الله - .

تعالوا نرى نماذج من تعامل الملحدين مع سؤال الغاية و عذابه ، و من تهربهم من هذا السؤال .

سُئل الملحد ريتشارد دوكنز عما إذا كان العلم يجيب عن سؤال :

(**لماذا** نحن هنا في هذه الدنيا ؟) ... فبماذا أجاب ؟
(عالم فاز بجائزة نوبل بيتر ميدور يقول :
سؤال (**لماذا** نحن هنا ؟) لا يمكن إجابته بالعلم . و لا أفهم كيف يمكننا نقول ذلك بهذة الثقه !)

رد ريتشارد دوكنز :

" ما سأقوله كجواب عن سؤالك (**لماذا**) هو :
(**لماذا** تظن أن من حقك أن تسأل هذا السؤال!! إنه سؤال بلا معنى !).
إذا سألت : لماذا توجد الجبال ؟ فإن هناك أسئلة هي ببساطة لا تستحق جواباً!
يمكنك أن تجيب عن سؤال (لماذا توجد الجبال) بالحديث عن العمليات الجيولوجية التي توجد الجبال.
ولكن ليس هذا ماتريده.
أنت تريد الغايه من وجود الجبال .
(إنه سؤال سخيف ، لا يستحق جواباً). "

إذاً حسب ريتشارد دوكنز عن سؤال **لماذا** نحن هنا؟ سؤال سخيف لا يستحق إجابه و ليس من حق السائل أن يسأل !

حتى الأطفال يسألون عن الغايه من كل شيء يرونه ، أما حسب الإلحاد فإن من السخافة أن تسأل عن الغاية من وجود الإنسان الذي يفترض أنه أهم شيء في هذه الحياة .
العلم التجريبي يحاول معرفة الغايه من وجود الأشياء و الظواهر الطبيعية حولنا ، حسب الإلحاد استكشف كما تريد و أسأل كما تريد ، لكن . . ليس من حقك أن تسأل عن الغاية من وجود أنت أيها المستكشف !!

عندما نتكلم في أحكام شرعية فكثيراً ما يُعترض علينا بمقولة ، الإنسان أستكشف المريخ و أنتم لازلتتم تتكلمون في هذه الأمور ، بل السؤال موجهٌ لكم إيها الجاهلون !
هل يُعقل أن يستكشف الإنسان القمر و المريخ و يتكلم عن المجرات التي تبعد عنا مليارات السنوات الضوئية ثم يجهل نفسه التي بين جنبيه و الغاية من وجودها ؟؟
لكن ، هذا الجواب المتناهي في السخافة من دوكنز هو في الحقيقة منسجم مع النظرة الإلحادية المادية البحتة فالصدفة العشوائية لا تفعل شيئاً لغايه ، و العلم التجريبي هو بالفعل لا يستطيع معرفة الغاية من الحياة . لكن بدلاً من أن يعترف الملحدون بأن هذا يدل على قصور النظرة المادية البحتة ، فإنهم يستنتجون أن سؤال (لماذا نحنُ هنا

.. ؟) سؤالٌ سخيف لأن ماديتهم لا تجيب عنهم . لا تستغرب بعد ذلك أن يقول دوكينز : " الكون كما نشاهده يتمتع بالخصائص التي نتوقعها تماماً إن كان في حقيقته بلا تصميم بلا غايه بلا شر و لا خير .. لا شيء سوى قسوة عمياء لا مُبالية .

إذاً هذا أسلوبٌ يختاره بعض الملحدين في التعامل مع الشعور بالغائيه ، تسخيف هذا الشعور الفطري . بينما يقول لك البعض الأخر ، نعم .. على السمتوى النظر فالحياة ليس لها هدفٌ حقيقي و لا معنى !

لكننا لا يمكننا العيش وفق هذه الرؤية النظرية فعلينا أن نسعى إلى تخليق المعنى . يعني لنوهم أنفسنا أن هناك غاية حتى نستطيع العيش .

و تجد مثل هذا المعنى في فرع فلسفي يسمى العدمية الوجودية .

قد يخدع الإنسان نفسه فترة من الزمن ، لكن .. **ماذا** بعد ذلك ؟

ماذا إختار بعضهم كبديلٍ عن هذه المهمة الصعبة ، مهمة إيهام النفس بأن للحياة غايه و هي لا تؤمن بما بعد الموت ؟ يُجيبك أكبر مخرجي الأفلام الأمريكية الملحد وودي آلن ، تعالوا نرى ماذا يقول . . ؟

https://www.youtube.com/watch?v=dLYpn7T4NNI

إذاً فهو يقول بأن الإعلام يُخادع الناس و يوهمهم أن لحياتهم معنى ، مع أنها عديمة المعنى في الحقيقة و أن أفضل وسيلة هي تشتيت الناس و إلهائهم حتى لا يسألوا أنفسهم عن معنى الحياة و لا يواجهوا الحقيقة المرّة أنهُ لا معنى لها و أن عليك تشتيت نفسك و لا تجلس معها ، لأن إن جلست مع نفسك فسيهجم عليك سؤال (ما مصيري بعد الموت ؟).

تذكر كلماتي هذه و أنت تقرأ قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُولَـٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [الحشر: ١٩].

نسوا الله فنسوا الغاية من خلقهم و أنساهم العمل لما ينفعهم و آهتموا لكل شيء إلا بأنفسهم التي بين جنبيهم وأسلوبٌ آخر للإلتفاف على الشعور بالغائية هو ما اتبعه البروفسور الملحد لورانس كراوس ، نشر أعظم قصة نشرت حتى الآن ، " لماذا نحنُ هنا ؟ " و يا للمفارقة بين العنوان والمضمون !

فالكتاب هو محاولة لتسهيل فكرة العدمية على الملحدين ، محاولة لتخفيف ألم سؤال الغاية من الوجود و المصير بعد الموت .
ألقى كراوس محاظرة في جامعة كونوي بنفس مضمون الكتاب و بعد أن شرح دقة القوانين التي تحكم الكون دقة مُذهله قال :
" العالم الذي نتواجد فيه إستثنائي جداً ، لكنه صُدفة ."

ثم ماذا استنتج كراوس في النهاية ؟
" الكون ليس مجرد وهم ، بل صدفة ، و لا سبب لوجودنا .
لم يتم تصميم الكون لوجودنا بأية طريقة يمكن أن نراها .
بل و يمكن أن يتلاشى هذا الوجود . و هذا هو الجمال في الموضوع ، لأنه يعني أننا محظوظون جداً أننا هنا .
و قد تطورت لنا عقول يمكنها التفكير بهذا و يمكنها الاستمتاع و بالتالي .. فبدلاً من أن نشعر بالاحباط من ذلك ، عليكم أن تستمتعوا باللحظه العارضه."

إذاً يقول لا تشعر بالإحباط لكون حياتك بلا معنى بل استمتع بالصدف التي أتت بك إلى الكون .

كل هذه محاولات للإلتفاف على الشعور بالغائية ، لأنه شعور فطري عميق ، يجفف القلب بحيث لا يروية إلا ماء الوحي النقي .
كل هذه حيل نفسية يخدع الملحدون بها أنفسهم و هم الذين يقولون عن المؤمنين بوجود الله أنهم يخدعون أنفسهم .
الملحد الفرنسي الشرس جان بول سارتر لم يتحمل الإستمرار في هذه المخادعه و بعد سنوات طويله أمضاها في محاربة مبدأ وجود الله علا صوت فطرته و شعوره بالغائيه فقال : " لا أشعر أني وليد الصدفة نقطة من التراب في هذا الكون بل إني أرى نفسي شخصاً محسوبٌ حسابهُ مُعداً لغايه سبق تقديرة .
بإختصار ، كائناً لا يُمكن أن يوجده في هذه الحياة إلا خالق و أن ما أعنيه باليد الخالق هو الإله."
ثم ترك سارتر إلحاده و آعترف بوجود الله ، لكن للأسف ليس على ملة الإسلام نعود و نقول أسئلة الشعور بالغائية ضاغطه و مواجهتها مؤلمة جداً للملحد.
فالإنسان بلا غايه يُصبح تافهاً بلا قيمة و ما أصعب أن تشعُر بأنك تافه.

الملحد ستيفن هوكينغ القائل كما ذكرنا من قبل:
"الجنس البشري هو مُجرد وسخٌ كيميائي موجود على كوكب متوسط الحجم".
هو أيضاً القائل في نفس السياق : "إننا عديمي الأهمية تماماً بحيث لا يمكنني أن أصدق أن هذا الكون كله موجودٌ من أجلنا".
كذلك نجد في مواقع الملحدين كلاماً نصّه الحرفي:
"صورتنا الجديدة عن علم الكون تُخبرنا أننا كنا أتفه مما كُنا نتصور في الكون ، ليست لنا قيمة على الإطلاق فلماذا سيكون هكذا كونٌ نحنُ فيه عديمي الأهمية لهذة الدرجه قد خُلق لأجلنا".
في التصور الإسلامي نحنُ مخلوقون لغاية عظيمة ، و هي عبادة الله تعالى وتكوين علاقة المحبة بيننا و بينه و أن تظهر فينا آثار صفاته من كرمه وعفوه ونعمه و هدايته و إحسانه. كغاية كهذه تستحق تسخير الكون لصالح من كُلف بها. قال تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [الجاثية :١٣].
بينما الملحدون يقولون لك ، لا بل نحنُ أحقرُ من ذلك.
ومع ذلك يعتقد البعض أن الإلحاد يحترم الإنسان.

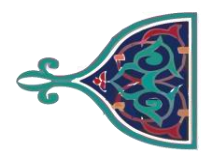
لسان حال الملحدين يقول غايتنا في الحياة أن نقنع الناس بأن لا غاية للحياة.

الإنسان في ظل الإلحاد وسخ كيميائي ، تافه ، لا يستحق أن يوجد الكون من أجله ، أصوله حيوانيه ، عقله مشكوكٌ في مصداقيته ، حياته بلا معنى ، بلا أخلاق مطلقه ، بلا غاية ، بل مجرد تسائلة عن الغاية و المصير تسائلٌ تافه ، و من قال غير ذلك من الملحدين فإنه يُخالف إلحاده و لا ينسجم مع نفسه و مع ذلك يعتقد البعض أن الإلحاد يحترم العقل و الإنسان. فالحمدلله الذي كرمنا بمقام العبودية له و لم يجعلنا من المُهانين الذين امتنعوا عن هذا المقام فأهانوا أنفسهم بأنفسهم.

قال تعالى :﴿ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ﴾ [الحج :١٨].



روبوتات من لحم!



يقول الإسلام إن من الفطرة التي أودعها الخالق في الإنسان " شعور هذا الإنسان بالإرادة الحرة في الأفعال التي تقع تحتَ إختياره و أن هذه الإرادة الحرّة عدلٌ إلهي ، يتحمل الإنسان نتائج إختياراته فيثيبه الله إن أحسن و يُعاقبه إن أساء".

و يقول الإلحاد لا خالق و لا فطرة و لا روح بل نحنُ عبارة عن مادة فقط ، مجموعة من الذرات.

قيل للملحدين: **كيف** تفسرون حقيقة أن الإنسان يجد من نفسه حرية الإختيار في أفعاله !؟

يشتري أو لا يشتري ، يتكلم أو لا يتكلم ، يكتب أو لا يكتب . . . إلخ.

الذرات التي يتكون منها الإنسان لا وعي لها و لا إختيار ، إنما تتبع قوانين كيميائية حيويه معروفه ، فإن كان الذي يحكمنا هو مادية هذة الذرات و إن كانت أفعالنا هي نتيجة محضة لجينات و نبضات الخلايا العصبية التي أوجدتها الصدفة ! فنحن ليس إلا روبورتات مسيرة لتعمل أعمالاً محددة.

هل رأيتم روبورتاً يختار بنفسه عملاً غير الذي بُرمج عليه ؟

وكذلك نحن حسب ماديتكم روبورتات لحمية كالروبورتات المعدنية.

فكيف تفسرون الإرادة الحرّة بعد هذا كله ؟

هذا من الأسئلة التي يرد عليها الملحدون بتخبط و حيرة ، كما في هذا اللقاء ليتشارد دوكنز و لورانس كراوس :

https://www.youtube.com/watch?v=isBgZnTJqj0

حيث يعترف دوكنز بأن هذا السؤال يخيفه و أن قناعاتة العقلية المادية بعدم وجود إرادة حرّة تتعارض مع إنطباعة الشخصي القوّي بوجودها.

و على عادة الملحدين تهربوا من المأزق بإنكار الحقائق الواضحة و مخالفة

بداهيات العقل ، فأنكر كثيرٌ منهم وجود الإرادة الحرّة ، كما أنكروا من قبل الضرورات العقلية و قيمة الأخلاق و نزعة التديّن و الشعور بوجود غاية للحياة.

فترى دوكنز يقول في كتابة نهرُ من عدن : "الشيفرة الوراثية لا تكترث و لا تدري إنها كذلك فقط و نحنُ نرقص وفق أنغامها".

يعني بمعنى أخر : نحنُ روبورتات تحكمها الجينات.

و ترى عالم الأعصاب الملحد سام هاريس يؤلف كتاب بعنوان الإرادة الحرّة يقول في أولة : "الإرادة الحرّة وهم". و يصف الإنسان فيه أنه 'Biochemical puppet' أيّ دُمية كيميائية حيوية ، و هو ماتعبر عنه أيضاً الصورة على غلاف كتابة و مع ذلك ! يفتخر على الغلاف بأنه صاحب أحد أكثر الكتب مبيعاً بعنوان نهاية الإيمان !

فهذا الإنجاز العظيم الذي نشره الملحدون التنويريون إقناع أتاباعهم أنه لا إله و أنهم مجرد دُمى متحركة.

و ترى بروفيسور البيئة و التطور جيري كوين يكتب مقالاً بعنوان :

أنت لاتمتلك إرادة حرّة.

و هذة بالفعل هي الرؤية المتوافقة مع الإلحاد و المنهج المادي أنه يجب ألا تكون هناك أرادةُ حرّة .

لكن . . **هل** بالفعل هرب المنكرون بإلحادهم هذا من المأزق أم أنهم أوقعوا أنفسهم في بحر من التناقضات و الأسئلة التي لا تنتهي.

أولاً ، إذا كان الإنسان فاقد الإختيار بالفعل. **مالمبرر** بمعاقبته إن أجرم و قتل و سرق و أغتصب و عذّب و فعل الشنائع كلها ؟

لماذا نعاقبه و هو ضحية لجيناتة التي تُسيّره رغماً عنهُ؟

ثانياً و إن كان صاحب الكرم و الإيثار و التضحية مجبورٌ على أفعاله.
مالمبرر من الثناء عليه ؟
ثالثاً ، أن ليس من الغريب أن سان هاريس الذي يصف الناس بأنهم دُمى بيوكيميائية هو نفسه الذي اقترح اختراع قنبلة نووية على المسلمين للتخلص من شرورهم !
رابعاً ، **أليس** من الغريب أيضاً على الملحدين حرصهم الشديد على إلغاء مايسمونه و هم الإله من الوجود مع فتور واضح عن إزالة الوهم الآخر في نظرهم وهم حرية الإرادة البشرية ، مع أن هذا الوهم يجعل الناس يعاقبون المجرمين المساكين المجبورين على إجرامهم.
خامساً ، إن لم تكن هناك إرادة حرّة ! إن كان المؤمن مجبوراً على إيمانه والملحد مجبوراً على إلحادة . **فلماذا** يتحمس الملحدون للدعوة إلى الإلحاد ؟
إن لم يكن لدى الإنسان إرادة حقيقية يستطيع أن يغيّر معتقده من خلاله.
سادساً ، **أليس** من الطريف جداً أن يؤلف الملحدون كتباً ليقنعوننا من خلالها بأنه لا وجود للإرادة الحرّة ؟ مع أن ذلك يعني أنه ليس هناك أي فعل عقلاني في تأليفهم هذا،

وإنما حروف تم صفّها بضغط تفاعلات بيوكيميائبة و معلوم أنه ليس من أجندة هذه التفاعلات طلب الحق فضلاً عن إصابته.

سابعاً ، **ماقيمة** التعلم إن كان الإنسان فاقداً للإرادة الحرّة التي يختار من خلالها المعارف الصحيحة دون الباطلة؟ إن كان مدفوعاً رغماً عنهُ إلى نتائج محددة بغض النظر أهي صحيحة أم باطلة !

ثامناً ، **أليس** من المعلوم أن أصل كلمة عقل في اللغة العربية هو المنع ! فعقل الإنسان يمنعه أن ينساق خلف أي شيء كالبهيمة. أفلا يكون الملحدون لذلك بلا عقول ؟
لأنهم لإنكارهم للإرادة الحرّة مدفوعون لما يقولون دون شيئ يحرزهم.

تاسعاً ، **أليس** من المضحك بعد هذا كلّه أن يلقّب الملحدون أنفسهم بالمفكرين الأحرار Free thinkers ؟
مع أنهم في ظل إنكارهم للإرادة الحرّة و إنكارهم للمسلمات العقلية كما بيّنا فيما قبل فإن الإنسان لا يمكن أن يكون مفكراً و لا أن يكون حراً.

عاشراً ، أليس من المضحك أن يتكلم الملحدون عن كرامة الإنسان ؟

مع أن إلحادهم يعني إنساناً بلا عقل ، بلا أخلاق ، بلا غاية ، بلا إرادة حرّة
إنما وسخُ كيميائي تحركة الصدفة كالدمية.
تساؤلات لا تهنتهي تلطم وجود الملحدين الذين أنكروا الإرادة الحرّة و أنكروا الروح و إدّعوا بأننا مادة مجردة و أن جيناتنا هي التي تسيّرنا.
لكن هُنا تساؤل آخر مهمُ جداً !
الملحدون حين فشلوا في تفسير الظواهر الفطرية غير المادية في ظاهرها كنزعة التديّن و النزعة الأخلاقية و الإرادة الحرّة و تهرّبوا من دلالتها على وجود الخالق وفسروها بدلاً من ذلك بالجينات.
هل لديهم أي دليل علمي على تفسيرهم البديل هذا أم أنه إيمان أعمى بمسألة غيبية لا ديل عليها ، وهمٌ يسدرون به فجواتهم المعرفية؟
هل علماء الملحدين علميون في تفسيرهم هذا أم أنهم يخادعون أنفسهم
والناس ؟

هذا ما سوف نعرفه فيما بعد . .



في هذا الجزء سوف نُجيب على سؤال :

هل أي من الظواهر الفطرية ثبت أن لها أسباباً تطوّريه أم أن الملحدين والتطوريين يؤمنون إيماناً أعمى يسدّون به فجواتهم المعرفيّة ؟

يعني الملحدون حين أنكروا وجود الله بالتالي أنكروا أن هناك فطرة فطر الله الناس عليها ووقعوا في مأزق أنهم لا يملكون تفسيراً لأي من الظواهر الفطرية كنزعة التديّن أو النزعة الأخلاقية و الشعور بالغائية و الإرادة الحرّة و الغرائز ، فهي ظواهر غير مادية في الظاهر لذا فقد بحثوا عن تفسيرات مادية لها وأدّعوا أن كل هذه الظواهر لها أسباب مادية ضمن إطار التطور الدارويني. فإما أن تكون ظاهرة فطرية معينة ناتجة عن جين معين أو مجموعة جينات ، و إما أن تكون ناشئة عن صفات أخرى متعلقة بالجينات إنتخبتها الطبيعة، أو أن الظواهر الفطرية قد تم إنتخابها داروينياً دون أن نعرف كيف ظهرت هذع الظاهرة إبتدائياً ، لكنها ظهرت ثم أُنتخبت.

السؤال . . هل إدّعائهم هذا عليه دليل علمي أم الإحتمال الثالث لا نعرف كيف ظهرت فإحالة على مجهول عبارة لا يقبلها الملحدون من المؤمنين بالله في تفسير الظواهر.

يبقى التفسير الذي يمكن فحصة و اختبار صحتة هو ربط الظواهر الفطرية بالجينات. حتى تتدعي أن صفة ما في كائن ما لها علاقة في جين معين.

فهناك طرق علمية محددة لإثبات وجود هذة العلاقة:

الطريقة الأولى هي إضافة جين gene insertion للبويضة المخصبة، أو حذف جين gene deletion و متابعة ما إذا أدّى ذلك إلى ظهور أو إختفاء صفةٌ معينة، و هذا ممكن في الحيوانات مثلما يسمى بالفئران محذوفة الجين knockout mice لكن لم يتم إجرائة في الإنسان بالإضافة إلى أنه يدخلها عوامل معقدة كالآليات التعويضية compensatory mechanisms والتي قد تعوّض عن الجين المحذوف مثلاً.

تبقى الطريقة الممكنة للإنسان هي أن تجري مسحاً جينياً وتثبت أن المتصفين بصفة أو نزعة معينة لديهم جين ليس لدى الآخرين الذين لا يمتلكون هذى الصفة أو النزعة، أو أن لديهم جينات يحصل لها تمثيل Expression بشكل مختلف عن الآخرين فيما يعرف في الوراثة فوق الجينية

Epigenetic وهذه الطريقة ربطت بعض الصفات الجسمية و الأمراض بأسباب جينية.

حسناً . نعود فنقول الملحدون و الداروينيوون أجروا عملية درونَة Darainization لكل شيء ، وكان مما درونوة الظاهر الفطرية وهناك قائمة طويلة التي قامت على هذا الأساس مثل : الجين الإلهي The GOD gene ،

الأساس التطوري للنزعة الأخلاقية Evolutionary Origins of Morality ،

الأساس التطوري للحرية Evolutionary Origins of Freedom ،

نظرة دارونية للمحبة من قِبل الوالدين A Darwinian View of Parental Love ، تطور الرغبة الجنسية التزاوجية The Evolution of Desire ،

وغيرها الكثير . . .

الآن ، فلنتجاوز دعوى الدروانيين أن هناك صفات ظهرت بطرق لا نعرفها لكنها أُنتخبت لأنها عبارة " لانعرفها " ليست علماً يُختبر.

يبقى الربط بالجينات فنقول بناءً على ما تقدّم من الطرق العلمية لإثبات العلاقة الجينية بالصفات.

هل إداع هذه المؤلفات عليها دليل علمي ؟
هل تم تحديد أي جين مسؤول عن أية نزعة فطرية ؟
والجواب الصادم : لا !
إنما هي إدعاءات لا أسأس علمي لها ، يعني إيمان أعمى داروني فهذه المؤلفات تتجاوز سؤال : **هل** يوجد سبب مادي بالفعل للظاهرة الفطرية ؟
فتعتبر الإجابة عنه محسومة فوجودة حقيقة ملسمّة وتنتقل إلى مواضيع مثل مناقشة فائدة وجود الظاهرة الفطرية تطورياً في كلامٍ إنشائي عقيم.

هذه الدرونَة لكل شيئ بلا دليل إنتقدها حتى بعض الداروينيين الملحدين أنفسهم ومنهم بروفسور البيئة و التطور الملحد الداروني جيري كوين حيث في كتابة بعنوان : لماذا التطور حقيقة Why Evolution is true
قال كوين : "هناك ميلٌ آخذ في التزايد (بشكل مزعج) من قبل علماء نفس وبيولوجيين و فلاسفة لدرونة كل جانب من الجوانب السلوكية للإنسان لتتحول تلك الدراساات إلى لعبة علمية جماعية إن أعادة تشكيل الطرق التي يُحتمل أن

الأشياء تطورت من خلالها إعتماداً على الخيال الواسع لسيت علماً إنها مجرد حكايات".

حسناً ، كاستثناء نرى دين هامر و بخلاف باقي المؤلفين قد تكلم عن جين معين لتفسير نزعة التديّن لدى الإنسان ، لكن هامر هذا كما سنرى بطل الإدعاءات التي لا دليل لها بل يكذبها باقي الباحثين ، أقام كتابة الجين الإلهي على دراسة واحدة مُدّعى لم ينشرها ولم تتكرر نتائجها مع أي باحث بعده. حتى بعض الملحدين أنفسهم سخروا من إدعاءاته قائلين: لا يوجد إله ولا جين إلهي ؟

no god and no god gene either.

والحقيقة أن الذين يدّعون أنه من الممكن العثور على جين معين مرتبط بنزعة فطرية معينة هؤلاء إنما هم جاهلين بعلم الجينات جهلاً مخزياً مهما حملوا من ألقاب الدكتوراة أم أنهم يخادعون جمهورهم.
فمعلوماتنا من سنوات عن إرتباط الجينات بالصفات أنه أعقد بكثير مما كنا نظنّ ، كما في الورقة العلمية المنشورة في مجلة nature بعنوان:

Personal genomes: The case of the missing heritability

عام ٢٠٠٨ والتي تبيّن أن فك الشيفرة الوراثية في مشروع الجينوم البشري خيّب أمالنا حيث وجدنا حتى الصفات الجسمية كطول القامة و الأمراض العقلية كالشيزوفرينيا والتي يظهر أن لها إرتباط بالوراثة حتى هذه لايمكن عزلها إلى جين ولا حتى إلى مجموعة جينات معينة وأن الأمر أعقد بكثير مما كان يدرّس في المدارس و الجامعات.

وتنص دراسات أخرى على أن صفة سلوكية واحدة قد تكون مرتبطة بألاف الجينات التي يسهم كلٌ منها في هذه الصفة إسهاماً طفيفاً وتعترف الدراسات مع ذلك بعدم القدرة على تحديد هذه الجينات المفترضة. هذا إن سلّمنا لهم بأن هناك إرتباطاً أصلاً ، فالموضوع من الواضح أنه شديد التعقيد والغموض. ومع ذلك يأتي أمثال هامر ليقول لك الجين الإلهي وترى في الإعلام الغربي عنواين مثل : هذا الجين المحدد يقرر إذا ما كنت ستصوّت لصالح الجمهوريين أو الديموقراطيين. تسطيح للموضوع وإستخفافٍ واستغفال لعقول الناس وإن كُنّا لانستغرب أن تمرّ هذه الإدعاءات المضحكة على عقول بعض الشباب البعيد عن الأجواء العلمية فمن العجيب حقاً أن يتداولها أشخاص لديهم أدنى

مبادئ البحث العلمي أو أطباء أو طلاب في المجال الطبي والحيوي.
أود أن أقول لا أرى مانعاً من الناحية النظرية من أن يخلق الله تعالى في الإنسان جينات تعين على تكوين النزعات الفطرية وقد بينا فيما قبل لماذا هذا إن وجد بالفعل فإنما هو دليل آخر على وجود الخالق وعظمتة.
لكن المعيب بالفعل هو أن يقيم الماديون تفسيرهم للظواهر الفطرية على أساس وجود هذة الجينات أو على طرق تطورية لم تكتشف بعد كبديلٍ عن وجود الخالق ، وهم لايملكون دليلاً عليها ، فينفون ماقامت الأدلة كلها عليه بحجة ما لا دليل عليه، المعيب هو أن ينكر علينا الملحدون إيماننا الغيبي بوجود الله وقد دلت الأدلة عليه بينما لايجدون حرجاً من الإيمان الغيبي بوجود هذه الجينات أو التفسيرات التي لم تكتشف بعد ولا دليل لهم عليها ، المعيب هو أن يدعي الملحدون هو أن إيماننا بوجود الخالق هو من قبيل سدّ الفجوات المعرفية أي أننا لا نعرف سبب بعض الظواهر فنفترض وجود الله لتفسيرها ، وهذا ليل صحيحاً في المنظومة العقدية الإسلامية، بينما الملحدون يمارسون هذا الإيمان الأعمى الداروني لتفسير ظواهر فشلت ماديتهم في تفسيرها، نفوا وجود الخالق فكان لابدّ

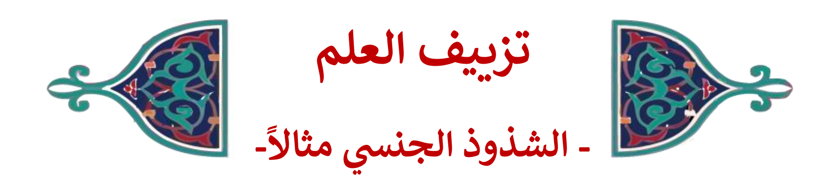
من بديل البديل المادي الذي ينفي الروح والفطرة فبنوا على هذا البديل قصوراً ومزاعم وقصصاً وألفوا كتباً وأقاموا محاظرات على لاشيء، على وهمٍ كبير.

فهل هناك إيمان أعمى أكثر من هذا ؟
هل هناك تأجير عقل أكثر من هذا ؟
هل هناك تحيّز علمي وأحكام مسبقة أكثر من هذا ؟
هذه التُهم التي يرمون بها المسلمين.
هل هناك من هو أولى من هؤلاء الملحدين و الداروينين بها ؟
يدعون خصومة بين الإسلام والواقع و بين الإسلام العلم التجريبي ، مع أنهم في قولهم مثلاً لا إرادة حرة لدى الإنسان بل تحركة الجينات، تتجلى قمة المصادمة للواقع الذي يفرض أن للإنسان إرادة حرة مهما أنكروا !
ويتجلى عدم إحترام العلم التجريبي في دعاوى جينات بلا دليل.
و هذا كله ضريبة معاندة الأدلة الفطرية على وجود الله تعالى.

اقتربنا بهذا من نهاية الحديث عن الأدلة الفطرية ولانريد أن نستطرد كثيراً ولا نبتعد عن الموضوع ..

لكن نودّ أن نذكر مثالاً للتضليل الذي يمارسه الملحدون والداروينيون بإسم العلم، وهو تبرير الشذوذ الجنسي بإدعاء وجود أساس جيني له.

لنرى مثالاً أخيراً من ضرائب التنكر لفطرية الغرائز البشرية ومحاولة تفسيرها تفسيراً مادياً بحتاً في موضوعنا التالي.



الملحدون كما بيّنا سابقاً فسروا الظواهر الفطرية تفسيرات مادية جينية لا دليل عليها. لكنهم لم يقفوا عند هذا الحد بل نسبوا إلى الجينات أيضاً أفعلاً منحرفة عن الفطرة وجعلوا ذلك أحد الذرائع لتبريرها على أنها ظواهر طبيعية. مثال صريح على ذلك ، تعاملهم مع الشذوذ الجنسي والذي لايسمونه شذوذاً بل مثلية جنسية Homosexuality ، لأن كلمة شذوذ تحمل معنى سلوك مستبشع منافر لطبيعة الإنسان وهو ما لايعترفون به.

هناك علاقة بين الشذوذ و اللادينية، فقد أظهر هذا الإستطلاع في ٢٠١٣ على مجتمع LGBT يعني الشواذ في أمريكا أن حوالي نصف الشواذ الأمريكيين ليس لديهم إنتماء ديني مقارنة بكون ٢٠% من سائر المجتمع الأمريكي دون إنتماء ديني. المجتمع الغربي الذي يشيع فيه الإلحاد والداروينيه أصدر دراسات عن علاقة الشذوذ بالوراثة والجينات وعن الظواهر الإجتماعية المتعلقة بالشذوذ، مثلاً ما إذا تبنى شاذان طفلاً ، **كيف** سيكون أثر هذا التبني على الطفل ؟

ومن حقنا أن نسأل: **هل** تمت هذه الدراسات بطريقة علمية وحيادية ؟

و هذا ينقلنا إلى السؤال الأكبر والأهم وهو :

هل الأبحاث العلمية التي لها تطبيقات عقدية و أخلاقية والتي تنتج في ظل هيمنة ليبرالية غربية ؟

هل هي محايدة بالفعل أم أنها أحياناً تكون أداة مُسيّسة ؟

هل إذا جاءت مثل هذه الأبحاث بنتائج تعارض قيم إسلامية فإن الموقف العقلاني سيكون الشك في القيم الإسلامية أم في صحة هذه الدراسات ؟

عندما يقول لك الملحد: أنا أُصدق العلم.

فهل هو كذلك؟ أم أنه يصدق التفسير الخاطئ لعلم زائف فيقع في جهل مركب؟

هذا هو الهدف الأساس والأهم لموضوعنا هذا ، الشذوذ هو مثالٌ فقط، نفحص من خلاله موثوقية هذا العلم الغربي.

خارطة المسير في موضوعنا هذا سيكون كالتالي:

- معنى: (الشذوذ له سبب جيني).
- ماتقرره المراجع الغربية عن علاقة الشذوذ بالجينات والوراثة.

- هل ماتقرره المراجع والدراسات في الأمور الأخلاقية موثوق؟
  - الأجواء التي تتم فيها الأبحاث.
  - هل الباحثون موثوقون؟
  - من يمول هذه الأبحاث؟
- تعامل الإعلام مع نتائج الأبحاث؟

موضوعنا هذا مليء بالأدلة والوقائع المهمة و غريز الفائدة فالرجاء القراءة بتركيز لفهم تسلسل العناصر.

- معنى: (الشذوذ له سبب جيني).

سنُحلل في البداية معنى هذة العبارة (الشذوذ له سبب جيني):

هل معناها أن الشاذ له جينات تدفعه إلى الممارسات الجنسية الشاذّة بشكل

لا إرادي؟ كما يغمض الإنسان عينه إذا جائتها شظيّة أو يسحب يده عن الجسم الحار بشكل لا إرادي ؟ لا طبعاً.

هل معناها أن الشاذ لديه جينات تجعله يميل نفسياً إلى أفراد من جنسه ؟

عند التحقيق هذا معنى عبارتهم.

فنقول بدايةً على فرض وجود هذه الجينات، **فبأي** حق تعتبرونها مبرراً للسلوك الشاذ ؟ و مُعفية لصاحبها من الذنب والعقوبة ؟

هذه نقطة أساسية مهمة جداً ، يعني على فرضٍ أن إنساناً لديه شعور مشوّه سيء، **فهل** هذا مبرر له أن يتصرف بناءً على هذا الشعور ؟

ثم لو أن رجلاً لديه شهوةٌ زائدةٌ للنساء ، **فهل** هذا يبرر قيامه بالإغتصاب مثلاً ؟

أم أنه يُطالب بضبط نفسه وكبح جماح شهوته وجعلها في الحلال ؟

فلماذا تستخدمون عناوين مثل المثلية الجنسية تخضع للجينات الوراثية !!

بطريقة تُشعر أن الشاذ مُجبر على أفعاله المنحرفة ! تُخضعه جيناته !

ثم **هل** أنتم مُستعدون للإلتزام بنفس منطقكم هذا في التعامل مع خصومكم

السياسيين والفكريين التي قد تكون هناك أسباب جينية لما يفعلونه ؟

بل لو قلنا لكم : الذي يعدد الزوجات ، قد تكون هناك أسباب جينية تدفعه

إلى تعداد الزوجات، والتي ترضى بزوج متزوج قد يكون لديها جينات تدفعها لذلك.

فلماذا يُصبح زواج الشواذ مسموحاً به في الولايات الأمريكية الخمسين كاملة بقرار المحكمة العليا في ٢٠١٥ بينما يبقى تعدد الزوجات ممنوعاً في الولايات الأمريكية الخمسين كاملة حتى يومنا هذا ٢٠١٧ .

لماذا تُستخدم دعوى العلاقة بالجينات لإحداث تعاطفٍ مع الشواذ تحديداً ؟

ومع هذا كله ، **فهل** هناك بالفعل جيناتٌ تُسبب ميلاً نفسياً شاذاً ؟

هذا ينقلنا إلى المحور الثاني وهو:

- ماتقرره المراجع الغربية عن علاقة الشذوذ بالجينات والوراثة.

إحدى أشهر المنظمات الصحية الأمريكية الجمعية الأمريكية لعلم النفس

خلُصت بأنه لم يثبت وجود أساس جيني للشذوذ وذلك حتى هذا اليوم ٢٠١٧

علماً بأن هذه الجمعية تُدافع بشدة عما تعتبرة حقوق الشواذ.

والعديد من الكتب المُختصة في دراسة السلوك الجنسي تصف الأبحاث بأنها
inconclusive أي لم تصل إلى نتيجة وأنه لم يتم تحديد جين له علاقة بالمثلية. ومن أفضل الكتب في هذا المجال كتاب الدكتور نيل وايتد الذي بعنوان: MY GENES MADE ME DO IT! جيناتي هي التي جعلتني أفعلها المثلية و الدليل العلمي والذي يفنّد علاقة الشذوذ بالوراثة من ناحية نظرية تأصيلية منطقية، بالإضافة إلى تناولة دراسات التوائم السياميين في هذا المجال والتي أظهر العديد منها عدم وجود علاقة وراثية للشذوذ مع تبيانة للأخطاء العلمية الكبيرة في دراسات التوائم التي تدّعي وجود هذه العلاقة وسنذكر شي من ذلك والكتاب متعة علمية لمن لدية أسس البحث العلمي.

وهنا لاحظوا مسألة تأصيلية مهمة ، الملحدون يقولون: نحن جئنا من خلال طفرات وانتخاب طبيعي للصفات التي

تساعد على البقاء مع فناء حاملي الصفات التي لاتساعد على البقاء.
هل الشذوذ يُساعد على البقاء ؟ لا طبعاً ، لأن الذكرين معاً أو الأنثيين معاً لايُنجبان وبالتالي لايمرران الصفات الوراثية للأجيال اللاحقة ؛ لذا فكان من المتوقع أن يقضي قانون الإنتخاب الطبيعي على الشذوذ لأنه صفة لاتساعد على البقاء ، ومع ذلك فالشذوذ موجود. فلاحظ كيف أن التفسير الدارويني المادي ناقض أوله أخره.
نعود إلى مقررات الجمعية الأمريكية لعلم النفس والكتب المختصة ، لاحظ أننا لم نسلك السلوك اللاعلمي الذي يتّبعه كثيرون، حين يأتون لك بأي دراسة توافق أهوائهم ويتجاهلون الدراسات الأخرى التي لاتخدم موقفهم، نحن هنا نذكر لك مقررات المنظمات الصحة الكبرى والكتب المختصة فهذه تعطي خلاصة عدد كبير من الدراسات ومع هذا كله فسيقول قائل: مقابل كلامك هذا هناك دراسات تُشير إلى وجود علاقة بين المثلية الوراثة.
وسيقول قائل: **هل** لو غيرت المراجع الرئيسية موقفها يوماً ما فسوف تقرّون
لنا بوجود هذه العلاقة ؟

وهذا ينقلنا للمحور الثالث والأهم لموضوعنا هذا وهو:

- هل ماتقرره المراجع والدراسات في الأمور الأخلاقية موثوق؟

هل هي محايدة بالفعل أم أنها أداة مسيّسة ؟

وسنجيب من خلال دراسة ثلاثة أمور :

- الأجواء التي تتم فيها الأبحاث.

هل هي أجواء تشجع على البحث الحرًّ؟ أم فيها إرهاب قانوني؟

الحضارة الغربية لديها مقدسات ترفع شعارها وتجرّم وتحارب من يمسّها، وقد إستطاع اللوبي المؤثر الداعم للشواذ أن يُدخل في هذه المقدسات مايسميه حقوق المثليين. فكما أن اللي يعارض الهيمنة الغربية يوصف بالإرهاب والذي يعارض اليهود يوصف بمعاداة الساميّة فقد أطلقوا على معارضة الشذوذ الجنسي وصفَ رُهاب المثليّة Homophobia أي أن المثلية الجنسية ظاهرة طبيعية، حق من حقوق الإنسان والذي يُعارضها مُصاب بمرض الرُهاب إتجاهها، لكن هذا المريض غير معذور عندهم بل مُجرّم!

وكما أن هُناك شعار مُكافحة الإرهاب ومكافحة معاداة الساميّة فكذلك ترفع الحضارة الغربية شعار مكافحة رُهاب المثلية والذي تبنته الأمم المتحدة، وأطلقت من أجله حملات وأصدرت إتفاقيات ووقع عليها كثيرٌ من الدول وعينت مراقباً أممياً خاصاً لحماية الشواذ.

في أجواء المحاربة و المراقبة هذه ، **هل** يُتصور أن يخرج العلم التجريبي بنتائج مُحايدة بالفعل في ما يتعلق بالشذوذ؟

من الفضائح العلمية التي تُجيب على هذا السؤال: قصة البروفسور روبرت سبيتزر والذي يوصف بأنه أبو الطب النفسي الحديث، نشر دراسة عن علاج لا دوائي يساعد المثليين على التخلص من مثليتهم وسمّاه علاجاً إصلاحياً reparative يعني يصحح الميل الجنسي لدى الفرد. وذكر في الدراسة نجاح علاجة في تصحيح الميل الجنسي لدى ٢٠٠ إمرأة و رجل من المثليين، فثارت ثائرة المنظمات الصحية وهاجموا دراسته علماً بأن سبيتزر من داعمي مايعتبره حقوق المثليين وساهم في إزالة المثلية من قائمة الأمراض النفسية الأمريكية. لكن هذا لم

يشفع له عند المجتمع العلمي فاعتذر سبيتزر عن دراسته عام ٢٠١٢ ونُشر الخب في وسائل الإعلام بعنوان: عملاق طب النفس يعتذر عن دعم علاج المثليين. وقال في أخر رسالة إعتذاره بذل وخضوع: أعتقد أني مدين لمجتمع المثليين بالإعتذار

(I belive i owe the gay community an apology)

ولك أن تتصور الضغط الذي تعرض له سبيتزر عندما تعلم أن أمبر منظمتين صحيتين عالميتين هاجمتا علاجه، منظمة الصحة العالمية Who ، ومنظمة الصحة الأمريكية PAHO حيثُ أصدرتا في ٢٠١٢\٥\١٧ تقريراً بعنوان: العلاجات التي تُغير التوجه الجنسي ليس لها مُبرر طبي وتهدد الصحة.

كيف أن هذا العلاج اللادوائي والمعتمد على مناقشة الشاذ أو الشاذة بالكلام يُهدد بالصحه ؟

قالوا في التقرير: أن هذه العلاجات تقمع التوجهات الجنسية لدى المثليين تتسبب بشعورهم بالذنب والخزي من أنفسهم والإكتئاب والقلق بل وحتى الإنتحار. وختم التقرير بهذه المناسبة بتوصيات لمحاربة رُهاب المثلية.

وأنا أطلبُ منك أيها القارئ أن تقرأ هذه التوصيات وترى **بماذا** تُذكرك؟

- هل الباحثون موثوقون؟

هل الباحثون موثوقون أم أن هناك مايشير إلى كذب بعضهم وإنحيازهم؟

سأذكر بعض الشواهد على إجابة هذا السؤال . .

أولها البحث الذي لا يزال الملحدون والشواذ يتغنون به.

بحث دين هامر الذي إدعى سنة ١٩٩٣ أن هناك رابط محتمل بين المؤشر الجيني Xq28 والمثلية الجنسية ونشر نتائجة في مجلة science المعروفة، كما هو موضح في هذا الرابط:

https://science.sciencemag.org/content/261/5119/321

نُذكّر أحبتي أن دين هامر هو نفسه الذي إدعى وجود الجين الإلهي

وألف على ذلك كتاباً دون دليلاً ولا دراسة مشهورة فلم يوافقه عليه علماء الجينات.

تعالوا نرى دعوى أخرى لصاحب الإداعاءات هامر ، من القواعد العلمية أي بحث علمي حتى يكتسب موثوقية فإن نتائجة يجب أن تكون(reproducible) يعني إذا قام باحثون أخرون بنفس التجربة فيجب أن تظهر نفس النتائج وإلا فإمكان أن باحث أن يدّعي مايشاء ويُصبح مكتشفاً عظيماً بناءً على إدّعاءات كاذبة.

تجربة هامر وفريقة هذه أعادها الكثير من الباحثين وعلى عدد أكبر من الشواذ ولم يحصل أحدٌ منهم على نتائج مُشابهه ! مما جعلهم يلمحون إلى تكذيب هامر وجينه المزعوم.

من ذلك دراسة دكتور جورج رايس وفريقة المنشورة أيضاً في مجلة science

https://science.sciencemag.org/content/284/5414/665

والتي جاء فيها: إنه من غير الواضح لماذا نتائجنا تختلف تماماً عن نتائج الدراسة الأصلية لهامر ، بما أن دراستنا كانت أكبر من دراسة هامر فمن المؤكد أنه كانت لدينا قدرةٌ كافيةٌ للكشف عن تأثير جيني بالحجم الذي تم الإعلان عنه في تلك الدراسة.

ومع ذلك فإن بياناتنا لاتدعم وجود أي جين ذو تأثير تأثير على الميول الجنسي على مؤشر جيني Xq28.
يعني ببساطة تكذيب لهامر صاحب دعوى الجين الإلهي المكذبة أيضاً.
مرّ حوالي ٢٥ عاماً والباحثون يحاولون تكرار نتائج هامر ولم يكرروا نتائجة الزعومه.
هذا بالإضافة إلى الأمر الأساسي الذي ذكرناه فيما مضى ، وهو أن إدعاء جين معين لصفة سلوكية معينة أمرٌ يُكذبة علم الجينات الحديث.
كما في هذا البحث المنشور عام ٢٠٠٨ في مجلة nature المعروفة:
https://www.nature.com/news/2008/081105/full/456018a.html

والذي يبيّن أنه حتى عامة الصفات الجسمية البسيطة ظهر بعد فك الشيفرة الوراثية أنها أعقد من أن تُربط بجين أو حتى مجموعة جينات محددة.
فكيف بالصفات السلوكية التي أعقد بكثير من الجسمية ؟

إذاً جين هامر سخافةٌ من ناحية نظرية كما في بحث (nature)، ومُكذب عملياً كما في بحث (science). وهما أشهر مجلتين طبيعيتين معروفتين ، بالإضافة إلى أنه مُكذبٌ بربع قرن من الأبحاث العلمية التي حاولت إعادة نتائجة ولم تُعدها.

شاهدٌ أخر متعلق بموثوقية الباحثين نستعرضه من مراجعة طبيعة الباحثين فيما يُسمى:
Gay parenting أي تبني المثليين للأطفال، حيثُ في مزيد من الولايات الأمريكية أصبح من المسموح قانونياً لشاذين متزوجين أو شاذتين متزوجتين أن يتبنيا طفلاً ويُربياه ويراهما هذا الطفل في علاقتهما الشاذة صباح مساء، وعندما تتم مناقشة السماح أو عدم السماح بهذا التبني يتم إستدعاء دراسات علمية أيضاً عن أثر هذا التبني على الأطفال.
الكاتب ديفيد بينكوف أجرى إستقراء لعشرات الدراسات المتعلقة بتبنّي الشواذ للأطفال وخرج بنتائج نشرها في مقال مدعم بالوقائع المحددة تحت عنوان: كل دراسات تبني المثليين للأطفال خاطئة.

ذكر بينكوف أنه من إستقراءه لهذه الدراسات فإن ٦٠% على الأقل من الباحثين الذين يخرجون بقوانين تدعم السماح بهذا التبني هم أنفسهم مثليون ، وأنه لايعلم عن الـ ٢٥% الباقون يعني قد يكون قسم منهم مثليّ أيضاً ويذكر الكاتب قائمة بالأسماء والحوادث التي تدل على كلامه ويقول أنه كفى دليلاً على حياديتهم أنهم لايذكرون هذه الحقيقة في conflict of interest وهو القسم من الأوراق العليمة الذي يذكر فيه الباحث العوامل التي يمكن أن تضعف حيادية بحثهم.

طبعاً ، لا يحق لدكتور أن يصدر بحثاً يشكك فيه في صحة أبحاث هؤلاء الشواذ بأنهم منحازون لشذوذهم إذ سيوصف حينها بالهوموفوبيا وتشمله حملات مكافحات رهاب المثلية ولا عجب بعد ذلك أن تخرج كثيراً من الأبحاث بنتيجة أن تبني المثلية للأطفال ليس له أثر أي سلبي على الأطفال،

بل وهذا البحث:

https://www.ncbi.nlm.nih.gov/pubmed/20530080

لدكتورة الشاذة جارتريل المتزوجة من إمرأة يخرج لنا بنتيجة أن الأطفال المتبنين لدى المثليين والمثليات يُصبحون أفضل إجتماعياً من الأطفال الذين ينشئون لأب وأم.

أبحاث علمية تنشر في مجلات علمية ويُرحب بها العلماء في الأوساط العلمية.

فماذا تتوقع من هذه الأوساط إن خرجت لك بأبحاث عن تعدد الزوجات مثلاً !

هل ستكون نتائجها موثوقة حيادية، خاصة حين تعلم أن التعدد عندهم مجرّم قانونياً ؟

علماً أيضاً أن بعض الأبحاث كهذا المنشور في مجلة تابعة لجامعة كامبردج المعروفة:

http://cutt.us/O8wRQ

تُظهر أن الأطفال الناشئين لدى الشواذ يكتسبون هم أيضاً السلوك الشاذ بشكلٍ كبير.

كيف شواذ ولديهم أطفال ؟

إما أن الشاذ يميل للجنسين فينجب بالزواج أو بالزنا، بالإضافة إلى السلوك الشاذ أو أن هذا الطفل نتج عن

زنا بين رجل وأمرأة ورمياه وأصبح لقيطاً ثمّ تبناهُ شاذان أو شاذتان .. الحضارة الليبرالية.

نعود فنقول هناك أبحاث تُظهر أن الأطفال الناشئين لدى الشواذ يكتسبون هم أيضاً السلوك الشاذ بشكل كبير.
الباحثون الشواذ لايعتبرون هذا مشكلة أصلاً !
الملحدون يعتبرون أن مجرد إخبار الوالدين لطفلهما بأن الله خلق العالم هو إستغلال لبراءة طفولتة بطريقة بشعة كما يقول دويكنز في كتابة وهم الإله، بينما لا يجد الإلحاد مشكلةً في تربية الأطفال على الشذوذ ولا يعدّ ذلك إستغلال بشع لطفولتهم !

ولنا أن نتسائل هُنا :
هل الثقافة الغربية تؤدي إلى الحرية الشخصية بالفعل ؟
تصوّر طفلاً ينتج عن زنا يُصبحُ لقيطاً ، يتبناهُ ذكران شاذان يمارسان شذوذهما أمامه فينشأ هو أيضاً شاذّ، ثم يشعر أن شذوذه هذا مُنافر لطبيعته الإنسانية فيرغب في تصحيح ميوله النفسي حتى

يعيش صحةً نفسيةً سويّةً من ناحية الميول الجنسي.
لكن تأتي المنظمات الصحية لتقول له يجب منع أي تدخل يسعى إلى تغيير التوجهات الجنسية لأي شخص كما في تفرير ٢٠١٢ الذي ذكرناه، يعني ممنوع توفر علاج لهذا الشاب بل يجب أن يبقى كما هو !
هل هذه حرية ؟ **أم** إجبـار على الفساد؟

شاهد آخر حول موثوقية الباحثين هو أن تعلم أن البروفسور جون مايكل بيلي يتلقى تمويلاً حكومياً أمريكياً ليقوم بأبحاث لإثارة الرجال والنساء المثليين عن طريق تعريضهم لأفلام إباحية مثلية بطرق قياس يستحي المرء أن يذكرها حتى أنه أُعترض على إبحاثه في جريدة واشنطن تايمز بأنها مفرطة في الشهوانية ومضيعة للأموال لدافعي الضرائب.
في الإسلام يتلقى العلم والحديث عن الشخص العدل الثقه بينما في هذا العلم الغربي المزعوم لا ضابط ولا شرط لأخلاق وموثوقية من يتلقى هذا العلم عنهم ولا مانع من أن يكون أحط الناس أخلاقاً

بل لا مانع من أن يكون ملحداً لا يرى قاعدةً مُطلقةً للأخلاق أصلاً كما بينا سابقاً، وبالتالي فالغش والتزوير عنده أمور نسبية لا يمكن وصفها بالخطأ بشكل مطلق.

قصة بيلي تنقلنا إلى الأمر الثالث في مناقشة موثوقية الأبحاث الغربية في مجال الشذوذ وهو تمويل هذه الأبحاث وأثره على النتائج.

- من يموّل هذه الأبحاث.

في مقال بينكوف الذي ذكرناه قبل قليل والذي إستقرأ فيه عشرات الأبحاث ذكر الكاتب بالأدلة: **كيف** أن بعض الأبحاث الداعمة لتبني المثليين للأطفال هي أصلاً مملة من أفراد مثليين معروفيين ومؤسسات داعمة للمثليين ومن الظاهر المعروفة في المجتمع العلمي أن الدراسات كثيراً ما تنحازُ لنتائج يريدها الداعمون الماليون فيما يُعرف بالإنحياز للدعم ، يعني تصور شاباً يعطي أموالاً لباحثٍ ويقول له إعمل دراسةً عن ما إذا كان الذي أقوم به جيّداً أم

سيئاً وخذ راتباً من مالي هذا، وتصوّر النزاهة العلمية بعدها.
يذكر المقال أيضاً أن حتى تاريخ ٢٥\٣\٢٠١٤ هناك مئة وخمسون دراسةً عن تبني المثليين للأطفال.
طبعاً كل دراسة تكلف مئات الألاف او الملايين من الدولارات وكثير منها مدعوم بالأموال الحكومية الفيدرالية الأمريكية بالإضافة إلى دعم الشواذ ولنا أن نتسائل : **هل** تدعم الحكومة أو المؤسسات الأمريكية أبحاثاً عن أثر تنشئة الفتيات على الحشمة والحياء على صحتهنّ النفسية مثلاً ؟
ثم تصوّر لو أن باحثاً خرج بفرضية أن اليهود لديهم جينات تدفع نحو المكر والإجرام وأراد أن يُجري بحثاً للتحقق من فرضيتهم، **هل** سيحضى بحثه بأي دعم مادي أم أنه سيُتهم بمعاداة السامية ويُجرّم؟
أمرٌ آخر له علاقة بالتمويل هو موضوع نشر نتائج الدراسات، وهنا تأتينا أيضاً مشكلة الإنحياز في النشر أو مايُسمى بالـ Publication Bias يعني إذا خرج لدى الباحث الشاذ نتائج بخلاف مايهوى وبخلاف ماتهوى المؤسسة الداعمة له مالياً والمروجة للشذوذ **فهل** سينشرها الباحث أم يُخبئها ؟

كذلك إذا خرج باحث مُحايد بالفعل بنتائج ضد الشذوذ فليس هناك مايضمن له قبول بحثه لدى المجلات العلمية بل قد ترفض المجلات نشر بحثه خاصة الشواذ والداعمين لهم يشنون حملاتهم على كل بحث هنا وهناك يخرج بخلاف مايريدون فالأسهل على المجلات أن تريح رأسها من تهمة رُهاب المثلية ومن تكرار مأسآة روبرت سبيتزر الذي أضطر للإعتذار في النهاية.

المحور الأخير هو **كيف** يتعامل الإعلام مع نتائج الأبحاث ؟

- تعامل الإعلام مع نتائج الأبحاث؟

وسائل الإعلام الأمريكية المعروفة ومن يُروّج لمثل أجنداتها في العالم الإسلامي تتلقف الدراسات التي تروق للشواذ على زيفها وتزويها الذي بيّنا شيئاً منهُ وتضيف عليها تزويراً أيضاً في عنونة الخبر، مثال ذلك تلقفها لما إدعاهُ هامر لوجود جين مرتبط بالمثلية ونشر الجين المدّعى على أوسع نطاق وهو ما انتقده على إستحياء منشور علمي بيّن أن دراسة هامر لم تُكرر نتائجها

أبداً ومع ذلك تعامل معها الإعلام كحقيقة مُسلّمة ولا زالت وسائل إعلام عالمية مثل (The telegraph) لا تستحي بعد مرور ٢٢ عاماً على التكذيب العملي لدراسة هامر من أن تصف معارضي الشذوذ بأنهم يُهملون العلم مُستدلةً ضمن هذا العلم بدراسة هامر.

ليس وسائل الإعلام فقط بل حتى المجتمع "العلمي" سلك سلوكاً لا علمياً إذ أضاف جين المثلية المُكذّب نظرياً وعملياً إلى قاعدة البيانات الطبية للقرن الحادي والعشرين.

الأن لنا أن نتسائل بعد هذا كلّه . .
هل ما يتغنّى به الملحدون علم أم علم زائف ؟
مُقدسات ليبرالية تدفع لنتائج معينة ، دعم ماديّ مُنحاز، حرص على إرضاء الداعمين بنتائج تسرّهم ، باحثون شواذ ومطعون في مصداقيتهم ، أخطاء في تصميم الدراسات ، إنحياز في النشر ، إرهابٌ لمن يتخذ موقف مخالفاً لهؤلاء الشواذ ، حملات

لمكافحة الهوموفوبيا ثم إعلامٌ يتلقى من
الدراسات مايشاء ويبني عليها أن وجود العلاقة
المدّعاه بالجينات للميل الشاذ تعني أن صاحبه
مُجبرٌ على السلوك الشاذ.
ثمّ يقول لك ببغاوات الإلحاد أنا أصدق العلم !
قال تعالى: ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ
يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا
لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

كلّ قلبٍ حيّ سيشعر بالظلمة ما قرأ من شواهد
إنتكاس الفطرة.
فنودّ أن نُنير قلوبنا بنداء الوحي بتلاوة آيات من
سورة الشعراء تحكي حال نبي الله لوط عليه
السلام الذي ظهرت هذه الفاحشة البشعة أول ما
ظهرت في قومه، فناداهم الله بقوله تعالى:
﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ
قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء :١٦٦].

لم يحتج لوط عليه السلام أن يُبرهن لهم مطولاً
على فساد فعلهم فهو فعلٌ واضح القُبح يُغني

مُجرد ذكره عن بيان فساده، ولم يكن جُلّ دعوة لوط لقومة أمور العقيدة بل أنشغل أولاً بمحاولة تصحيح إنسانيتهم ، لكن ..

﴿ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ (١٦٧) قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ (١٦٨) رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ (١٦٩) فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (١٧٠) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (١٧١) ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ (١٧٢) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ (١٧٣) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٧٤) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٧٥) ﴾ [الشعراء].



خلاصة الأدلة الفطرية على وجود الله



في موضوعنا هذا سوف نُلخص محاور المواضيع التسعة عن الأدلة الفطرية على وجود الله تعالى ضمن سلسلة رحلة اليقين ونجيب على بعض الإعتراضات التي وردت على مواضيعنا السابقة.

بيّنا أن هُناك فطرة موجودة في الإنسان وشرحنا بعض مكونات هذه الفطرة كنزعة التدين والبدهيات العقلية والنزعات الأخلاقية والشعور بوجود غاية للحياة والشعور بالإرادة الحرّة وبيّنا دلالة كل من هذه المكونات على وجود الله تعالى وكيف أن الموقف الإسلامي من كل مكون فطري هو موقفٌ منسجمٌ وعقلاني وبيّنا أن الإلحاد في المقابل يقع في مأزق مع كل مكوّن فطري وأن أساس هذا المأزق هو إصرار الإلحاد على تفسير الوجود تفسيراً مادياً يرفضُ فكرة وجود إلهٍ فطر الإنسان على هذه المكونات الفطرية.

فرأينا كيف يتسّم الموقف الإلحادي بما يلي:

- إنكار الأشياء المسلّمة والمعلومة من الواقع بالضرورة.
- التناقض وعدم الإنسجام.
- الخروج من النتائج تنفر منها النفوس بداهةً.

- تحقير قيمة الإنسان وكرامته وإسقاط قيمة عقله ومشاعرة.

وبيّنا أن الإلحاد إذا حاول أن يفرّ من مشكلة من هذه المشاكل فإنه لابدّ يقع في مشكلة أخرى فإذا حاول مثلاً أن يعترف بالبدهيات العقلية فإنه يقع في التناقض مع رؤية المادية فإنه يقع في إنكار البدهيات العقلية وإذا حاول الإلحاد أن يفرّ من اللاأخلاقية التي يؤدي إليها فإنه يقع في التناقض مع رؤيته المادية وإذا أراد أن ينسجم مع رؤيته المادية فإنه يؤدي حتماً إلى نتائج لا أخلاقية تنفر منها النفوس بداهةً ؛لذا فإنه لا ينفع الملحد أن يقول أنا أرفض المقولات اللاأخلاقية التي يتكلم بها بعض الملحدين وأرفض إنكارهم للعقلية كالسببية لأن رفضهُ هذا يوقعه في التناقض مع إلحاده ، ومع ذلك فقد كنّا في كثيرٍ من المواضع نستخدم عبارة: لايجد الإلحاد مُشكلةً في كذا أو من أخلاق الإلحاد كذا ويقول الإلحاد كذا ، حتى لا يُعترض علينا بأنه ليس كل الملحدين يقولون بهذا.

فالمواقف التي ذكرناها هي النتائج المتوقعة للإلحاد وإن لم يقُل بها بعض الملحدين.

وبيّنا في السلسلة أيضاً : كيف أن إنكار الإلحاد للفطرة يوقعه في هدم الشعارات التي يرفعها ، فشعارات الملحدين: أنا أحترم عقلي ، أنا أؤمن بالإنسان ، أنا أُصدّق العلم.
وبيّنا في موضوع كيف يلغي الإلحاد العقل والعلم: إهانة الإلحاد للعقل وإسقاطه له.
وبيّنا في مواضيع ندعوك للغداء - أخلاق الإلحاد ، رصاصة دارون على الإنسانية ، لماذا نحن هنا في هذه الحياة: إهانة الإلحاد للإنسان وأخلاقه.
وبيّنا في مواضيع كيف يلغي الإلحاد العقل والعلم، الإيمان الأعمى الدارويني في تفسير الظواهر الفطرية ، تزييف العلم - الشذوذ الجنسي مثالاً- :إهانة الإلحاد للعلم التجريبي فهو هدمٌ للشعارات.
وبيّنا كذلك كيف أن الملحدون يقعون في نفس مايعيبونه على المؤمنين بوجود الله ، فهم يعيبون على المؤمنين الإيمان بالغيب مع أن المؤمنين لديهم أدلةً على هذا الغيب ، بينما الملحدون يقعون في الإيمان بغيبٍ لادليل عليه كإيمانهم بتفسيرات مادية للمكونات الفطرية مع إنعدام الأدلة عليها ويعيبون على المؤمنين قول "لا نعلم لماذا" كجواب على بعض الأسئلة مع أنه تسليمٌ مبنيّ على إيمانٍ عقلي بينما الملحدون يقولون العبارة ذاتها "لانعلم لماذا"

كجواب على بعض الأسئلة مثل السؤال عن تفسير وجود إرادة حرة للإنسان بخلاف ماتحتمة النظرة الإلحادية المادية ، ويدّعي الملحدون أن المؤمنين بوجود الله يخادعون أنفسهم بينما الملحدون هم في الحقيقة من يخادعون أنفسهم كما بينا في موضوع لماذا نحن هنا في هذه الحياة.

في المحصّلة فإن بعض المسلمين لديه تساؤلات وشكوك وشبهات لم يُحصّل اجابات شافية عليها وذلك إما لتقصير في البحث عن إجاباتٍ من المصادر المناسبة أو لأنه لم يبني إيمانه على أُسس متينة أصلاً أو لخلل منهجي كبير لديه وهو أنه لايرد المتشابهات إلى تلك الأسس المحكمات يعني لايُفسّر الجزئيات التي تخفى عليه على ضوء الأُسس الكبرى التي يمتلك الدليل عليها فيبقى في قلق وإضطراب مثل هذا الشخص قد تتراكم عليه الشبهات حتى يُنكر وجود الله ويظنّ أنه حين يُلحد فإنه يخرج من هذه الإشكاليات ولا يدري أنه إنكاره لوجود الله إنما هو مُبتدأ طريق مُتسلسل من الإنكار المتواصل الذي يؤدي إلى العدمية والتناقض في ظل التصور الإلحادي الذي يقول أن وجود الله وهم!
فإن ذلك يقود حتماً إلى إنعدام كل معنى وكل قيمة ، حيث ينتهي إلى نتيجة أن المبادئ العقلية وهم والقيم الأخلاقية

وهم ومعنى الوجود وغايته وهم والإراده البشرية الحرة وهم
، بل الإنسان بمكوناته الروحية اللامادية والمشَكّلة لحقيقة
إنسانيته مجرد وهم وكما عبّر الملحد ويليام بروفين
بروفيسور تاريخ علم الأحياء من جامعة كورنيل يبدأ الأمر
بالتخلّي عن أن هُناك إله فاعلاً ثم التخلي على الأمل بوجود
أي حياة بعد الموت وحين تخلى عن هاتين الفكرتين فإن
بقية الأمور تأتي بطريقة سهلة نسبياً حيثُ تفقد الأمل بأن
هُناك مبادئ أخلاقية مُطلقة ، وأخيراً لا وجود لإرادةٍ إنسانيةٍ
حرّة ، ليس هناك أدنى أمل في وجود أي معنى عميق في
الحياة الإنسانية ،نعيش ونموت ونفنى .. نفنى بشكلٍ نهائي
حين نموت فاعلم أيها الشاب الذي تخليت عن دينك
وأعلنت ذلك لأصحابك محتفلاً بأنك قد تخلصت من
مجموعة التساؤلات والشكوك التي كانت تُؤرقك يوم كنت
مسلماً ، إعلم أنك دخلت محيطاً عميقاً متلاطم الأمواج من
الشكوك والتساؤلات والتناقضات تركت العروة الوثقى
لتهوي في وادي سحيق ولن تجد مفراً من هذه الحقيقة إلا
أن تتعامى عنها.

والأن لنُجيب عن بعض الإعتراضات التي وردت عن
المواضيع التي تحدثنا عنها فيما سبق . .

أولاً كنت أذكر بعض الآيات فآعترض البعض بأن الآيات لا يُخاطب بها المُلحد .

بدايةً . . هذه السلسلة ليست لمخاطبة الملحد والمشكك فحسب بل وللمؤمن ليزداد يقيناً كما بيّنت ومع ذلك حتى في مخاطبة الملحد لايُعاب علينا الإستشهاد بهذه الآيات لو كنتُ أذكرها على سبيل أنه يا مُلحد الله يقول كذا فعليك أن تُسلّم لأن الله قال لصحّ حينئذٍ أن يُقال هذا غيرُ عقلاني لأن المُلحد لا يُسلّم بوجود إلهٍ أصلاً ، لكن استشهادنا بها هو لبيان إنسجام المنظومة الإسلامية وتناسق ماينسبه الإسلام إلى الإله الذي يؤمن به ، تناسق ذلك مع الواقع في مُقابل تناقض الإلحاد فالإنسجام من أدلة الحق والتناقض من أدلة البطلان ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء : ٨٢].

والأهم من هذا أنه لا يصحّ قول أن الملحد لا يُخاطب بالقران هكذا بإطلاق بل كثيرً من الأيات تتضمن أدلة عقلية يُخاطب بها الملحد كقولة تعالى:

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ [النساء : ٨٢].

فنحنُ نحاجج الملحد بالدليل العقلي الذي تضمنته الآية ليس أننا نُلزمه بخبر مُجرد أن القران جاء به فنحنُ لم نقُل

مثلاً يا مُلحد القران يقول أن الله موجود فعليك أن تُصدق أن الله موجود !

ثانياً إعترض البعض بقوله أنت استنتجت من مناقشاتك وجود الله و "الله" أسم للإله في المنظور الإسلامي بينما غاية ماتُثبته المواضيع هو وجود إله فحسب إدّعائك أنك أثبت وجود الإله الإسلامي حسب تعبير المُعترض هو قفزُ إلى إستنتاج تحكمّي زائد عن المقدار المُثبت والجواب هو أن مواضيعنا تدلّ على الأمرين معاً: وجود خالق مدبر للكون وبعض صفات هذا الخالق التي يدلّ عليها خلقه والإسلام هو وحده الذي يُعطي تصوّراً صحيحاً عن صفات هذا الخالق المُدبّر ففي الكُتب المحرّفة كالكتاب المُسمّى بالكتاب المُقدس مثلاُ وصفٌ لهذا الخالق بما لا يليق، كوصفه بأنه صارع يعقوب حتى كاد يعقوب أن يصرعه وأنه إستراح بعد خلق السموات والأرض وغيرها . . .
وهي أوصاف لا تُناسب صفاتُ الحكمة والقدرة التي تكلمنا عنها في السلسلة كما أنني أذكر في موضوع ندعوك للغداء - أخلاق الإلحاد أن وجود إلهٍ بصفات كمال مُطلق يُأسس لوجود القيم المعنوية كالخير والحق ويضع أساساً مُطلقاُ للأخلاق فالدلائل تنتهي بالفعل إلى أنه عند إثبات وجود ربّ

فلابد أن يكون الرب بالوصف الإسلامي الذي يصفهُ بما يليقُ بمظاهر قُدرته علمه ورحكمته ورحمته والتي تستوجب إلهيته وأن يكون مستحقاً للعبادة بصفاته هذه، لذا فليس في ذكر إسم الله قفزٌ ولا تجاوزٌ للحد الذي تمّ إثباته.

ثالثاً إعترض البعض بقوله أنت تُقيمُ دعوى صحة الإسلام على بيان بُطلان الإلحاد مع أن بُطلان الإلحاد لا يستلزم بالضرورة صحة الإسلام !
والحقيقة أنني لم أدعي ذلك في مواضيعنا، لم أُقم صحة الإسلام على إبطال الإلحاد.
فالمواضيع الإحدى عشر هيَ بداية لسلسلة والمقدار الذي تم مناقشته هو فقط الأدلة الفطرية على وجود الله مع بعض الفوائد هُنا وهُناك، والأدلة الفطرية هي جزءٌ فقط من الأدلة على وجود الله أما مناقشة باقي صحة الإسلام كنبوة محمّد صلى الله عليه وسلّم وأن القران كلام الله والتشريعات الإسلامية فهذا كله لم نُناقشه بعد.

رابعاً إعترض البعض على ذكر بعض المصطلحات والنقولات باللغة الإنجليزية والحقيقة . . أنه كان لنا أسبابٌ في ذلك منها إعطاء موثوقيةٍ لدقة بعض النقولات فهُناك

نقولات عن الملحدين الداروينيين غريبة صادمةٌ لا تكادُ تُصدّق، مما قد يجعل البعض يعتقد أن النص الأصلي لا يُمكن أن يكون كما ذكرنا وأنما هو تصرّف أو عدمُ دقةٍ في الترجمة فزوّدنا بالروابط والمراجع زيادةً في التوثيق وأحياناً نذكرُ عنوان المرجع باللغة الإنجليزية لنُسهّل على القارئ الرجوع إليه للتحقق التوسّع إن رغب ، خاصةً وأن كثيراً من المراجع المذكورة غير مترجمة وأحياناً نذكرُ مصطلحاتٍ ليس لها تعريب مألوف في المجتمع العلمي فنذكرها على أصلها ليفهم المُتابع عن ماذا نتكلم.

خامساً ما يُسمى بنظرية داروين تعرضتُ لجزئية محددة متعلقة بها ألا وهي التبعات الأخلاقية للتطور الدارويني وتفسيرها للمكونات الفطرية وبعض السلوكيات فظن البعض أنني أُناقش النظرية نفسها بذلك وراح يُدافعُ عنها ويحاول إثبات صحتها ويتوقع مني أن أرد على كلامه ، فأُحب أن أُشير هُنا إلى أن منهجيتي في هذه السلسلة هي التحديد والدقة وفرز الأمور بعضها عن بعض.
وهذا ختام الأدلة الفطرية على وجود الله و سوف ننتقل إلى الأدلة العقلية.



هل هُناك دليل من العلم على وجود الله؟



هل هُناك دليل من العلم على وجود الله ؟
الجواب بإختصار وببساطة أكثر مايدلُ عليه العلم هو **الله**.
قد تقول **أين** ؟
أرني الله أو أسمعني الله، فنقول أنت لم تسأل **هل** نرى أو نسمع الله كما نرى أو نسمع المحسوسات !
لو كان هذا سؤالك لقُلنا لك لا طبعاً .
لكنك سألت **هل** العلم يدلُ على الله ؟
العلم مُركبٌ من الحس والعقل فالإنسان ليس آلةً صمّاء أو كاميرا نلتقط بها صوراً ثم ننظرُ في شاشتها ، **هل** نرى الله فيها ؟ بل الإنسان يُحلل مُدخلات الحسّ بعقله ويخرجُ بنتائج وهذه العملية تبدأ من اللحظات الأولى من طفولته وتترقى مع كبرِه، بل حتى الحيوانات تستنتج من المحسوسات وتربط الأثر المؤثر فتعلم أن من رائحة الطعام أن هُناك طعام ورائه فتبحثُ عنهُ، ومنها مايقصّ الأثر كالكلب فيبحثُ عن صاحب هذا الأثر ، إذا رأيتَ تفاحةً

مقضومة عليها آثار أسنان إنسان علمتَ أن هُناك إنساناً قضمها هذا علم مع أنك لم ترى هذا الإنسان ، إذا سمعتَ إنشودةً بصوتٍ جميل علمتَ أن هُناك من يُنشدها هذا علم مع أنك لم ترى الذي أنشدها ،بل هذه علومٌ بديهية ولشدة بداهتها لايُسميها الناس علماً ؛لأن كلمة علم يتبادرُ منها إعمال التأمل والتحليل وهو ما لا تحتاجهُ في مثل هذه الأمور.

لكلّ حادثٍ سبب هذا مبدأٌ عقليّ فطريّ بَدهِي ،لايحتاجُ تعليماً ولا ذكاءً ونحنُ نعملُ بقانون السببية في كلّ حركاتنا فنأكُل لأن الطعام سببٌ في سدّ الجوع ونشربُ لأن الماء سببٌ في سدّ العطش ونلجأ للنوم للراحة ونعملُ لكسب العيش ، لمبدأ السببية هذا تعلمُ أن لنفسك وللكون من حولك خالقاً مُدبراً أوجد الكون ، هيّأهُ للحياة ، أحكم تفاصيلة ، ضبط قوانينة ، تظهر أثار قدرته في نفسك وحركات الموجودات حولك.

فسؤالُ هل هُناك دليلٌ على وجود الله ؟

سؤال غيرُ دقيق ؛لأن ليسَ هُناك شيءٌ إلا وهو دالٌ على وجود الله.

لو دخلت بيتاً لك وجلست على كنبةٍ فيه وأكلت من طعامٍ مطبوخٍ على الطاولة أمامك، **فهل** يصدر عنك حينئذٍ أن

كنت عاقلا سؤال هل هناك دليل على ان لهذا البيت بانياً ولهذا الطعام طاهياً ولهذه الكنبة صانعاً !!

هل هناك دليل على أن من هذه الأشياء حصل بفعل فاعل ؟

ألن يكون سؤالك حينئذٍ مُستفزاً ؟

قال الله تعالى: ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس : ١٠١].

ماذا في السماوات والأرض عامةٌ شاملة فكلّ مافيهما يدلّ على الله وعلى وعلى صفاته ، لكن الذين معهم مُشكلةٌ في الإيمان بالغيب أصلاً فلن تنفعهم الأدلة مهما كانت دالةً واضحة .

وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٥].

في ملكوت السماوات والأرض ولم يقُل إلى ، فحرف في يشملُ التأملّ والتدبر في التفاصيل والذي يدلّك أكثر وأكثر على الخالق سُبحانه، وماخلق الله من شيء يعني كلّ ماخلق الله من شيء يدلّ عليه سُبحانه.

فعجباً .. **كيف** يُعصى الإله أم **كيف** يجحدُه الجاحدون ؟

ولله في كل تحريكةٍ وفي كل تسكينةٍ شاهدُ ..
وفي كل شيءٍ لهُ آيةٌ تدلّ على أنه الواحدُ.
فالسؤال الصحيح ليس **هل** هُناك دليل على وجود خالق بل هل هناك شيء يخرج وينسلخ عن كونه دليلاً على وجود الخالق ؟ والجواب لا.
وصدَق ابن تيمية اذ قال: " كلّما كان الناس إلى الشيء أحوَج كان الربُّ به أجود"
نعم ، فحاجة الناس إلى ربهم أعظم الحاجات فترى أن الله يجود عليهم بأدلة وجوده وطرق معرفة صفاته.
بل ومن أسماء الله تعالى " الظاهر" قال ابن جوزي في دار المسير في تفسير قوله تعالى: ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد : ٣].
قال الظاهر بحُججه الباهرة وبراهينه النيّره وشواهده الداله على صحة وحدانيته، فالله ظاهرٌ مُدركٌ بالعقول والدلائل وهو في الوقت ذاته باطنٌ لأنه غير مشاهدٍ كسائر الأشياء المُشاهدة في الدنيا.
هذا هو الدليل ببساطة و وضوحٍ وإحكام وعمق ،كل الكائنات في الوجود تدلّ على وجود الله فكل ماتُشاهده ليس كائنات عشوائية بل بُنيتها وحركاتُها تدلّ على أنها مخلوقة يعني مصنوعة بإرادةٍ وقدرة فلا يُمكن لـ اللاشيء أن يخلقها

ولا يُمكن هي أن تخلق نفسها وقد كانت عدماً قبل أن توجد فلابُدّ من خالق لها ، مُتصف بالإرادة والعلم والحكمة والقدرة والعظمة وسائر ماتدل عليه مخلوقاته.
كان يُمكن في هذا الموضوع أن أشرح لك دليل إمتناع التسلسل وأن ممكن الوجود لابُدَ له من واجب الوجود وأن الحادث لابُدّ له من أزليّ ، لكن لم أفعل ؛لأن هذه كلها ليست جُزء من الدليل الأساسي.
ردّ الإعتراضات ومناقشة الشُبُهات ليست جزء من الدليل الأصلي وإنما هي ردودٌ على من لديه خللٌ حجبه عن الإقتناع بهذا الدليل الواضح جداً ،لذلك فعندما أشرح فيما بعد التسلسل وإمتناعه والحدوث والأزلية فقد تقول لم أفهم شيئاً ، لا مُشكله .. من قال أنه لابدّ أن تفهم ردّ الشُبُهات حتى تؤمن بالله ؟
أنت بإمكانك أن تؤمن بوجود الله إيماناً عقلياً فطرياً مُستند إلى أُسس علمية مُحكمة دون أن تفهم الشُبُهات ولا تفهم الردود عليها ، وكما قيل أصعب المُهمّات توضيح الواضحات لأن توضيح الأمور الواضحة لايكون إلا مع من يُجادل في مُسلَمات فالبتالي ليست هُناك أرضيةٌ مُشتركة للنقاش والإثبات معهُ.

لو أن شخصاً رأى الشمس في منتصف النهار فقال: أنا غير مُقتنع أن هناك شمس !

لماذا !!

قال: لعلّها كُرة صناعية ملتهبة وُضعت أمامنا.

قُلنا لهُ: لكن هذه الكُرة كيف هي مُعلقةٌ في الهواء ولابدّ لها من حبل يشدَها ونحنُ لا نرى لها حبلاً.

قال: لعلّه حبلٌ شفاف.

فقُلنا لهُ: وبماذا عُلّق هذا الحبل ومن يُحركه ؟ ثمّ أيُّ حبلٍ هذا الذي يتحمل كل هذه الحرارة دون أن ينقطع ؟

فقال: إذاً لعلّ في الكرة مغناطيساً ضخماً مشحوناً بنفس شحنة قطعة معدنية خُبئت في الأرض تحتهُ، فتنافرا فبقيت مُعلقةٌ في الهواء.

فدخلنا معه في حساب الكُتلة المطلوبة لهذا المغناطيس ومقدار الجاذبية الأرضية في الحسابات الرياضية وتفوقها على التنافر المغناطيسي إلى آخرة ....

قد يقول من يقرأ حوارنا : يآه كلّ هذا دليلٌ على أن الشمس طالعة، أنا كُنت أن المسألة أوضح من ذلك !

لا ، ليس هذا دليل على أنّ الشمس طالعة وإنما هذه ردودٌ على الذي يُنكر أشياء واضحة بدهية لا تلزمك ولا تحتاج أن تفهمها حتى تقتنع بطلوع الشمس قناعةً علميةً عقليةً صحيحة، فالمُشكلة ليست في وجود الشمس، بل المُشكلة في وجود المُنكر لها وإنكاراته وشُبهاته مهما كثُرت لا تنفي أن وجود الشمس حقيقة بدهية واضحة، لكن كما قيل: وليس يصحّ في الأذهان شيءٌ إذا احتاج النهارُ إلى دليلٍ.

نعم ، سنرُد في المواضيع القادمة على الشُبُهات التي تُثار على وجود الله، لكن كل ما سنقوله ليس جُزءً من الدليل بل ردٌ على الإعتذارات المُثارة على الدليل، الخلطُ بين الأمرين خطأ.

وبعض الناس يُمكن أن يكون لديه إيمان فطريّ لكن حين يسمع هذه المُناقشات في الرد على الشُبُهات يقع في نفسه أن حقيقة وجود الله غامضة وخفية تحتاج ذكاءً وفلسفةً وتعقيداً ؛ لأنه ماميّز أن كلما سمعه ليس جزء من دليل وجود الله بل ردود على شُبُهات، وأن التعليق فيها ليس لتعقيد في أدلة لوجود الله بل لتعقيد في مهمة أن تُحاور من يُشكك في الأمور البدهية، لذلك فمن الضروري والمهم الفصل بين أدلة وجود الله والردود على مُنكريّ هذه الحقيقة البدهية.

ثم أن كثرة ترديد الشُبُهات المُثارة ضدّ شيء لا تعني بالضرووة ضعفه بل في حالة وجود الله فإن كثرة ترديد الشُبُهات تُعبّر عن حالةِ مُصارعة المنكرين لهذه الحقيقة التي تهجم عليهم وتفرض نفسها عليهم فيدافعون بكل شُبهه لتسكين نفُوسهم المُضطربة.

قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٥].



(الله غيب)
هل معناه أن وجوده غير حقيقي ؟



من المفاهيم الخاطئة والخطيرة أن كون الإيمان غيبياً يعني أنهُ شيء غير يقينيّ ليس مؤكد إحتمال كبير لكن ليس ١٠٠٪ يقولون لك لا أحد يجزم بصحة ما لديه وخطأ الطرف الآخر؛لأنه غيبٌ في النهاية وترى من يطبق ذلك حتى على مسألة كُبرى على وجود الله سُبحانه وتعالى ويقول الإيمان هو أن تؤمن بشيء دون وجود كل الأدلة الحاسمة والقاطعة عليه، الإيمان يحتاج إلى leap o faith يعني قفزة إيمان إلى شيء لا يُمكن البرهنة عليه بشكل قطعي، الإيمان يحتاج هذه القفزة الشجاعة في الفراغ ومثل هذه العبارات التي تجعل الإيمان بوجود الله وبالغيب عموماً أمراً حدسياً تخمينياً لا قطعياً يقينياً، تجعله أمراً بغلبة الظنّ إحتماله كبير لكن دون ١٠٠٪.

فهل الإيمان بوجود الله هو كذلك فعلاً في المنظومة الإسلامية ؟

يقيناً لا. بل الإيمان بوجود الله إيمانٌ بما تدلّ الأدلة عليه بشكلٍ قطعيّ حاسم لا يقبل الشكّ ولا التردد وكونه غيباً لا يعني أبداً أنه لايمكن الجزم به.

غيب لا يُساوي مُبهم أو غامض ولا يعني أن الإيمان بالله هو موقفٌ عاطفيٌ تسليميٌ محض، بل هو موقف برهاني إستدلالي فطري عقلي.

الإيمانُ بوجود الله هو إيمانٌ يدلك عليه العقل والفطرة دون أن يمنعك مرض القلب أو إتباع الهوى، والغريب أن هذه المسألة هي أولى بدهيات الإسلام ليست واضحةً عند من يتصدى لمحاربة الإلحاد، إن كان الإيمان بالله عند بعض أتباع الأديان الأُخرى قد إختلط بصورةٍ مُشوّهةٍ عن اللهِ تعالى وصفاته مما جعل أتباع هذه الأديان يحتاجون للقفز في الفراغ والتسليم غير المستند إلى العقل فنحنُ لا نحتاجه في الإسلام والحمدُلله.

موضوعنا هذا للمسلمين وأيضاً للمُتشككين الذين قد يظنون أننا ندعوهم إلى الإيمان الحدسي العاطفي التسليمي، بل نحنُ ندعوهم إلى إيمانٍ فطري عقلي مُبرهن، كما أن التسليم الذي ندعوا الناس إليه ليس في مسألة وجود الله، التسليم ليس هُنا، بل التسليم في تفاصيل أمور الإسلام المبنية على إيمانٍ فطري عقلي مُبرهن.

القران الذي ندعوا إليه يقول:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾ [الحجرات : ١٥].

يعني آمنوا إيماناً يشمل التصديق الجازم الذي لا يُخالطه شكّ وليس غلبة الظن ولا إيماناً إحتياطياً ولا إيماناً إعتباطياً، نؤمن هكذا مع أننا نرى أن الأدلة على وجود الله غير قطعية، بل المنظومة الإسلامية تنصّ على أن وجود الله عزّ وجل هو الحقيقة الكُبرى، بل الله نفسه هو الحقّ.

قال تعالى:﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحج : ٦].

ولشدّة بداهة وجود الله تعالى فإن القران لا يجعل هذه القضية محور أدلته ومناقشاته بل يُدلل على شيء زائدٍ عن مُجرد الوجود كالتوحيد وصفات الله تعالى، أما الوجود نفسه فقضيةٌ محسومه.

قال تعالى:﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [ابراهيم : ١٠].

آيةٌ تتضمن الدليل الفطري والدليل العقلي، **أَفي** وجود الله شكّ؟

هل في وحدانيته شكّ؟ فوجوده ووحدانيته أمرٌ فطريّ مغروس في النفس لايُشكّ فيه، والبرهان العقلي أنه فاطر السماوات والأرض فكلُّ مافي الكون يدلُّ صحيح العقل سليم القلب على وجود الخالق.

في مُحاججة موسى لفرعون:

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾[الشعراء : ٢٣].

﴿ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾[الشعراء : ٢٤].

يعني بالنظر إلى هذه الكائنات فإن ربّ العالمين أعرفُ من أن يُنكر وأظهر من أن يُشكّ فيه.

إن كُنتم **موقنين** يعني إن كُنتم من أهل اليقين بأي شيء فإن اليقين بهذا الربّ أولى من كلّ يقين وإن قُلتم لا يقين لنا بشيء فأنتم كاذبون فكلّ إنسان لابُد له من يقينٍ بأمور بدهية ضرورية.

وقال فرعون:﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾[الشعراء : ٢٧].

فردّ عليهم موسى:﴿ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَاۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الشعراء : ٢٨].

يعني إن أنكرتم الله فأنتم أولى بوصف الجنون؛ لأنكم سُلبتم العقل النافع فالعقلُ **ماهو**؟

هو في الأساس علومٌ ضرورية مثل مبدأ السببية وهي تدلّ على الخالق سُبحانه، فإن كان لكم يقين عرفتُم الله وإن كان لكم عقلٌ عرفتُم الله.

بنفس المعنى أيضاً تأمل معي مطلع سورة الجاثية: ﴿ إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ (٣) وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٤) وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٥) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ (٦) ﴾ [الجاثية].

نفسُ المفاهيم التي في حوار موسى لفرعون.

يُوقِنُونَ: فالذي عندهُ يقين فأولى اليقين هو اليقين بالله وآياته الكونية.

يَعْقِلُونَ: فمن عنده عقل فلن يُنكر ربّه ولن تكون عنده مُشكلةٌ في أن يؤمن بالغيب.

حينئذٍ .. ﴿ إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الجاثية: ٣].

﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الجاثية: ٦].

فالذي لايُؤمن بالله وآياته الكونية مع شدّة ظهورها فأولى له أن لا يُؤمن بشيء؛ لأن الله وآياته أظهر ما يُمكن أن يؤمن به إنسان.

﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢١].

﴿ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ [الروم: ٢٣].
فالذي لا يُؤمن بالله كالذي لا أبصر ولا سمع ولا أحسّ ولا عَقِل.

وقال الله تعالى:﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُۖفَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[الروم:٢٣].
لله الحجة الدّاله على صدق كلامه ، البالغة يعني الواصلة إلى ماقُصدت لأجله وهو أن يُغلب الخصم وتبطل حجتُه، هذا كلّه في إثبات صفات الله تعالى ووحدانيته وتفاصيل من دينه، **فكيف** بثبوتِ وجود الله تعالى نفسه؟
أليس أول اليقين وأولى اليقين؟.



لماذا لابُدّ من خالـق؟



بيّنا في الموضوعين السابقين أن دليل وجود الخالق هو كلّ شيء؛ لأن وجود الكائنات واتفانها لابُدّ له من خالق، وبيّنا أن هذا دليلٌ قاطعٌ لصاحب القلب والعقل السليم ، وذكرنا أن نقاشنا للشُبُهات ليس جُزء من الدليل، فإذا أحسست بتعقيدٍ في نقاشها فهو لصعوبة مهمة توضيح الواضحات لمن يُناقش في المُسلّمات وليس لأن إثبات وجود الله عملية معقدة.

قد يقول لك المُتشكك أنت تستدل على وجود الخالق بوجود الكائنات وإتقانها، دعنا قليلاً من إتقانها، **لماذا** تفترض أن لوجود الكائنات لابُدّ له من موُجِد هذا افتراض ليس عليه دليل؟

صحيحٌ أننا لا نعلم سبب بدء الحياة على الأرض، لكن العلم قد يكشف السبب في المُستقبل، فبدلاً من افتراض وجود خالقٍ حتى تُريح نفسك من التفكير، ابحث عن السبب العلمي لبدء الحياة، سنقول له حسناً سنُؤجل مسألة الإتقان وأنه لابُد لهذا النظام الدقيق من فاعلٍ عليم قادرٍ حكيم.

سنُناقشُ معك مسألة الإيجاد عندما أقول لك: قال الله تعالى ..
تقول : لا ليسَ حُجّة لا تحتج علي بقال الله وأنا لاأؤمن بوجود الله أصلاً !
أنا أحتجُ عليك بالحجة الموجودة في داخل قول الله، أعلم أنك لن تُقرّ بعبارة قال الله، اترك هالعبارة لي وناقشني بالدليل العقلي الموجود فيما أعتقد أنا أنهُ (قولُ الله) حسناً ؟
حسناً ..
قال الله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ (٣٦)﴾
[الطور].

أَمْ خُلِقُوا: أنت أيها الانسان **مالذي** خلقك؟ يعني **من** الذي أوجدك بعد أن لم تكُن؟ مالاحتمالات المطروحة؟
١. أن يكون العدم (اللاشيء) هو الذي أوجدك.
٢. أن تكون أنت أوجدت نفسك.
٣. أن يكون هُناك من أوجدك.
القسمان الأولان واضحا البُطلان ، فالعدم لا يُوجِد شيئاً.

وأنت أيها الإنسان بعد أن توجَد لا تستطيع أن تزيد في بقائك يوماً واحداً ولا تمنع هرم نفسك وموتها، هذا وأنت مُكتمل الجسم والعقل **فكيفَ** توجِد نفسك من عدم؟

فبقي الخيار الثالث: أنك أُوجِدت بسبب خارجٍ عنك، ستقول أنا أُوجِدتُ من مني أبي وبويضة أُمي ..

حسناً هذا السبب بدوره **من** أوجده ؟

ستقول أنت ستنتهي إلى آدم الذي خلقه الله، وأنا سأقول لك بل خلية تطورت، ولن نتفق!

لا لا .. انتظر،

أياً كان تفسير نشأة الجنس البشري، في النهاية لابُدّ في السلسلة أن تقف عند حد معين حتى لو اختلفنا على هذا الحد المعين، لكن لابُدّ من وجود هذا الحد نقطة البداية، لايُمكن للأسباب أن تتسلسل إلى مالابدايه ، هذا مُستحيل ..

لماذا تسلسل مالابداية مُستحيل؟

أنا لا أسلّم لكم بهذا الكلام ، هذه مُشكلتكم ! أنكم لاتُسلّمون ببداهات عقلية لاتحتاج إثباتاً.

التسلسل المستحيل يعني ألا يحدث شيء في النهاية.

كيف ؟ **لماذا** التسلسل يؤدي ألا يُحدث شيء؟

سأُعطيك مثالاً يُوضح لك لماذا!!

تصوّر أن لدينا أسيراً حُكم بالإفراج عنه فقال الجندي الذي يحرس هذا الأسير لن أُطلق سراحه حتى يأمرني قائدي، وقال قائده لايكن لي أن آمر بذلك حتى يأمرني قائدي وقال قائد القائد مثلُ ذلك إلى مالابداية . .

فإنه لايمكن أن يُطلق سراح هذا الأسير فإذا وجدناهم قد أُطلق سراحهم بالفعل فإنا نعلمُ يقيناً أن السلسلة وقفت عند حدٍ معين، عند من أمر بإطلاق سراحه دون أن ينتظر من غيره أمراً بذلك.

إذا رأيتَ أحجار دومينو تتهاوى أمامك تباعاً وتعلم أن كلّ حجر لا يسقط حتى يسقط الذي قبله فإنك تعلم يقيناً أن هُناك من حرّك الحجر الأول ولايمكنك أن تقول إنه ليس لبدء تهاويها بداية، وتماماً في حالتنا إن كانت الكائنات لاتُوجد إلا بشيء قبلها وهكذا إلى مالابداية فلن تُوجد أصلاً، لكن الكائنات موجودة فدلّ ذلك على أن سلسلة الأسباب إنقطعت ووقفت عند سبب أول، ليس هُناك سبب قبله لوجوده، هذا السبب الأول إما يكون لوجوده مسبوقاً بالعدم وأما أن لايكون مسبوقاً بالعدم فإن كان مسبوقاً بالعدم فسيحتاج إلى سبب يُخرجه من العدم إلى الوجود، وقد أثبتنا أنه ليس له سببٌ قبله، يبقى هذا السبب ليس مسبوقاً

بالعدم بل أزليّ لابداية له، ذاتيّ موجود بنفسه لايحتاج إلى غيره ليوجِده.

نعود للآيات:

قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ (٣٦)﴾ [الطور].

ماينطبق عليك أيها الإنسان ينطبق على السماوات والأرض، ليس الجنس البشري هو من أوجد السماوات والأرض بعد عدمها، ولا هي أوجدت نفسها ولا أوجدها العدم فلابُدّ لها من خالق.

سيقول المُتشكك: لو سلّمنا لك أنه لابُدّ من سبب .. لك أن تُسميه السبب الأول مثلاً، **لماذا** تُسمونه الله وتدّعون له صفات كثيرة؟

الجواب: لأن ما أثبتناه بالنقاش بالسابق ليس أن هُناك سبباً أول فحسب، بل لإيجاد هذا السبب للخلق يدُلّ على أنه متصفٌ بالقدرة والحياة والإرادة، فلولا أنه حيٌ لما وهب الحياة للمخلوقات ففاقد الشيء لايُعطيه.

وبإرادته أراد أن يُوجد الخلق وبقدرته أنفذ إرادته، وعندما نأتي إلى بيان إتقان خلقه وتفاصيل هذا الخلق فسنرى أنها تدُلّ على صفاتٍ آخرى أيضاً كالربوبية، العلم، الحكمة، الرحمه ،العظمة، القيومية و غيرها ..

ببساطة هذا الخالق بهذه الصفات هو المُسمّى في المنظومة الإسلامية بـ الله.
لذلك الإيمان بوجود الله ليس مجرد قضية عاطفية تسليمية بل قضية برهانية استدلالية وعقليه، بالإضافة إلى أنها قضية فطرية كما بينا في سلسلة الأدلة الفطرية على وجود الله.
إيماننا بوجود الله مُنطلق من إستخلاص العلم اليقينيّ من المُقدمات الضرورية فإننا لانقول نحنُ لانعلم من أحدث الكون فنفترض وجود الله لحلّ ذلك !
لا، وإنما نقول إن الإستدلال العقلي الضروري يدلّ على أن الكون لابُدّ له من خالقٍ أزليّ ليس لهُ خالق وعلى بعض صفات هذا الخالق أيضاً، ونحنُ لانقول وجدنا السلسلة في الأسباب تستمر إلى مالابداية فرغبنا في وضع حدٍ لها فافترضنا وجود الله تكاسلاً عن التفكير !
لا، وإنما يقوم إستدلالنا على إستحالة التسلسل في الأسباب إلى مالابداية؛ لأن نتيجتها الضرورية إنعدام الضرورية أصلاً وهن خلاف الحسّ والعقل.
وعندما يقول المُلحد العلمُ قد يكشف مستقبلاً سبب الحياة فإننا نقول: مهما اكتشف العلم فإننا لن يكشف أن

العدم أوجد الحياة أو أن الحياة أوجدت نفسها أو أن سبب الحياة متسلسل لما لابداية.

لايكشف العلم عمّا يُناقض هذه البدهيات العقلية؛ لأن نقض البدهيات العقلية يؤدي أصلاً إلى إلغاء العلم التجريبي.



سؤال:
من خلقَ اللهُ؟



كُنت في صغري مُستلقٍ على السرير للنوم ، أتسائل .. **أليس** لكل شيء خالق ؟ **فمن** خلق الله ؟

ثمّ أشعر بأن هذا السؤال حرام لايخطر على بال أحد من حولي .. كبرت وعرفت أن هذا السؤال يتسائله الكثيرون بل وعرفت أن النبي -ﷺ- - قد نصّ على أن كثيرين سوف يسألونه! وأرشد إلى طريقة التعامل مع هذا السؤال.

بدايةً، **مامنشأ** هذا السؤال؟

منشأه أننا نظنّ القاعدة كالتالي:

لكل شيء مُسبّب ولكل موجود خالق.

بينما القاعدة الصحيحة هي:

لكل شيء حادثٍ مُسبب ولكل مخلوق خالق.

حادث يعني لهُ بداية، وُجد بعد أن لم يكُن موجوداً.

فكُل ما لهُ بداية لابُدّ له من مُسبب أخرجه من العدم إلى الوجود، أحدَثه بعد أن لم يكُن.

من الذي أنبت النبتة؟

المطر .. **ومن** الذي أنزل المطر؟

السحاب .. **ومالذي** كوّن السحاب؟
البخار المتصاعد .. **ومن** إين جاء هذا البُخار؟
من البحار .. **ومن** أوجد البحار؟
الله.
ومن أوجد الله؟ ليس لهُ موجِد ؛لأنه السبب الأول يعني ليس لهُ مُسبب.
لماذا ! لأنك لو افترضت أنّهُ أوجده خالق فستسأل من الذي أوجد خالق الخالق وهكذا إلى مالابداية...

وهذا يؤدي إلى تسلسل الأسباب ويسمّى أيضاً تسلسل الفاعلين وهوَ مُستحيلٌ عقلاً لأن نتيجته أن لايحصل خلقاً أصلاً كما بينا في موضوعنا السابق وضربنا مثال الأسير الذي لايِطلق سراحه حتى يتلقى الجُنديّ أمراً من قائدة والقائد من قائدة وهكذا إلى مالابداية فلا يُحرر الأسير ...
فإذا رأينا أنهُ اُطلق سراحه علمنا أن السلسلة وقفت عند من أعطى الأمر دون أن يتلقّى أمراً من أحد.
مثالٌ آخر يُوضّح إستحالة التسلسل في الأسباب إلى مالابداية، إذا دخلتَ بيتاً ونظرت من بابٍ فيه ورأيت ثريا مُعلقة بسلسلة لكنك لم ترَ من أين تبدأ هذه السلسلة!

فإنك تجزمُ بأن لها بدايةً في السقف وإلا لسقطت ومابقيت مُعلّقة ولم تتقبل فكرة أن سلسلة تكون ممتدة لما لابداية، لذلك فسؤال:

من خلق الخالق؟ سؤالٌ خطأ ؛لأنه يُخالف العقل لأن العقل يقتضي أنهُ إذا كان الكونُ مخلوقاً فلابُدّ من وجود خالق غير مخلوق.. سؤالٌ خطأ لأنه لابُدّ عقلاً من سببٍ أول، فعندما تقول **من** خالق السبب الأول؟ فإنه لم يعُد سبباً أول بل أصبح سبباً ثانياً، اذاً فقانون السببية يُطبّق على الأمور الحادثة فقط!

إذا دخلتَ غُرفتك ورأيت سريرك قد تغيّر مكانهُ، تقول من غيّر مكان السرير؟ لأن تغيّر مكانه أمرٌ حادث.

بينما لو دخلتها ولم ترَ مكان السرير تغيّر فإنك لا تسأل من أبقى السرير مكانه؛ لأن بقاءه مكانه ليس أمراً حادثاً حتى يكون لهُ مُحدث والله تعالى بما أنّهُ السبب الأول فليس حادثاً حتى يكون لهُ مُحدث بل هو خارجٌ عن إطار المادة التي خلقها وغير محكومٍ بقوانينها، إذا رأيت دُميةً تُحرك بخيوط وعلمتَ أنّ هُناك إنساناً من خلف الستار من يُحرّكها، فهل من المقبول أن تسأل ومن يُحرّك خيوط هذا الإنسان؟

إذا رأيت رغيف خُبز وعلمت أنّ لابُدّ للخبز من خبّاز فهل تسأل ومن خبَز الخبّاز؟

لا طبعاً، بل هوَ سؤال مُضحك وخاطىء، **لماذا؟**

لأنه طبّق تعميماً في غير مكانه وكذلك فالخلق صفةٌ مُلازمةٌ للمخلوقين فلا تُعمم على الخالق فسؤال من خلق الله ؟

سؤال خاطىء مثل سؤال ماطول الضلع الرابع في المثلث ؟

وهو كأنك تقول **من** خلق الذي لا خالق له؟

او **من** سبق الذي لا شيء قبله؟

فالجواب الخالق ليس له خالق ، فلو كان له خالق لكان مخلوقاً لا خالقاً.

لذا فهذا السؤال ليس مُحرِجاً ولا خافت الشريعة من أن يخطر على بال الناس، بل أخبر النبي -ﷺ- سلفاً بأنهُ سيُسأل وأرشدنا إلى التعامل معهُ ، في الحديث الذي رواه البُخاري ومسلم قال النبي -ﷺ- : "يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ ، فَيَقُولَ : مَنْ خَلَقَ كَذَا وَكَذَا ؟ حَتَّى يَقُولَ لَهُ : مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ ؟ فَإِذَا بَلَغَ ذَلِكَ ، فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَنْتَهِ ".

وَلْيَنْتَهِ يعني لينتهِ عن الاسترسال والاستمرار مع هذه السلسلة من التساؤلات بعد هذا الحد.

هل هذا حجرٌ على العقل؟ وتعطيل للعقل؟

أبداً، بل هو الموقف العقلي الصحيح، **لماذا؟**

لأن هذا السؤال **من** خلق ربك؟
هو كما بيّنا سؤالٌ يُخالف البدهيات العقلية والبدهيات العقلية هي التي ينطلق منها الإنسان في الإستدلال لا أنه يطلب أدلةً عليها حتى يستمّر في سلسلة البرهنات والتعليلات، يعني الذي يسأل هذا السؤال كأن عليه أن يقول مالذي أفعله؟ أنا أُخالف العلون الفطرية الضرورية، إذاً فلأقف عند هذا الحد وإلا فإني أُهدر عقلي، لذلك ففي الحديث الآخر وجّه النبي -ﷺ- من يأتيه هذا السؤال إلى أن يقول الله أحد الله الصمّد لم يلد ولم يولد ولك يكُن له كفواً أحد يعني أنا آمنت بأن الله ليس حادثاً كالحوادث لم يولد لتكون له بدايةً أصلاً وليس أحدٌ مكافئاً له فهو تعالى بائنٌ عن خلقه ليس مخلوقاً مثلهم ليكون لهُ خالق لذا فهذا السؤال غيرُ صحيحٍ أصلاً، لكن السؤال يهجم علي وأنا أعلم أنه غيرُ صحيح .. حسناً ، فهو وسواس تتعامل معهُ كما تتعامل مع وسواس الطهارة والوضوء والصلاة، أنت إن كُنت مُصاباً بالوسواس فإن الشيطان يُحدث لك شكاً: غسلت يدك أن لم تغسلها؟ ، نويتَ الصلاة أم لم تنوي؟ ، كبّرت تكبيراً صحيحاً أم لم تُكبّر؟ مع أنها كُلها تكون أموراً حسيّة يقينيّة لا تَحتاجُ برهنةً ولا إستدلالاً ومع ذلك تشكُّ فيها ..
مالحل في ذلك؟

هل تلجأُ إلى البرهنة والإستدلال؟ لا، بل تستعيذ بالله من الشيطان الذي يُوسوس لك وتنتهي من التفكير فيها وهكذا في حال سؤال من خلق الله ؟ وقد علمتَ أنّهُ سؤالٌ يُخالف ضرورات العقل.

ختاماً لموضوعنا هذا ..

سؤال من خلق الله سؤال يسأله المُلحدون أيضاً إعتراضاً على إيماننا بالله؛ لأنهم لا يتقبّلون فكرة أن يكون الله أزليّاً إلى بداية.

قُل للملحد الذي يعترض عليك بهذا الإعتراض:

هل تؤمن بأن الكون لهُ بداية ؟

فإن قال نعم. فإن لابُدّ لهذا الكون حادث من مُحدث بالبديهة العقلية الواضحة.

وإن قال لا. بل هو أزليّ. فقُل لهُ: تعترض على أزليّة الله وتقول بأزلية الكون ، إذاً أنت لا تعترض على مبدأ الأزلية بحد ذاتها، لكنك تعترض على أزلية خالق أوجد الكون بعلم وإرادة وحكمة وقُدرة تظهرُ آثارها في كلّ شيء وتقول بأزلية كونٍ هكذا بلا مُوجد ، كونٍ لا إرادة لهُ ولا علمٍ ولا حكمة.

قال تعالى: ﴿ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الأعراف : ١٦٨].



العظمة في كُلّ مكان



عندما نتكلم عن الأدلة العقلية على وجود الله فإن أكثر دليلين يُذكران عادةً هُما:

١. دليل الإتقان.

٢. دليل الإيجاد.

دليل الإيجاد للمخلوقات تكلمنا عنه في موضوع "لماذا لابُدّ من خالق".

أما دليل الإتقان سنبدأ الحديث فيه اليوم، والحقيقة أني أتهيّب من الإقبال على الحديث عن هذا الموضوع، موضوع الإتقان في الخلق. أتهيّب لأنه المهمة السهلة الصعبة، نعم من السهل أن تتكلم عن إتقان الخلق ؛ لأنه لو مُثلّت أنواع الكائنات أمامك على جدار غرفتك في لوحة كبيرة تحتوي كل نقطة منها على صورة لكائن أو جزء منهُ ثمّ أغمضت عينيك ووضعت إصبعك عشوائياً على أيةِ نقطة فإن بإمكان العلم أن يُحدثك لساعات عن هظمة الإتقان والإحكام في هذه النقطة، لكن في الوقت ذاته هُناك صعوبةٌ في الحديث عن الإتقان، صعوبة لأن الحديث عن نموذج ونموذجين أو

عشرةٍ وعشرين من الإتقان يهضم الموضوع حقّه فالإتقان مبثوثٌ في كلّ تفصيل من تفاصيل هذا الوجوُد، بل الإتقان يُساوي الوجود.

قال تعالى: ﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾

[النمل : ٨٨].

وقال أيضاً: ﴿ ذَٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٦) الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ (٧) ﴾ [السجدة].

لذلك فعندما أقول لك تعال نرى نماذج من الإتقان فهذا يُساوي أن أقول لك تعال نرى نماذج من الوجود فالإتقان يُساوي كلّ شيءٍ في الوجود.

إتقان الخلق يظهرُ حتى في حركات المُنكر الذي يتأهبُ ليسخط أو يُكذّب ما أقول مع أنّ كلّ العمليات التي يقوم من خلالها بذلك تشملُ إتقاناً في تفاصيل خلقه، نحنُ لا نقدر حالة الإتقان والنظام والإحكام التي نعيشُ فيها لأننا لم نُجرب البديل عنها.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا ﴾ [فاطر : ٤١].

آيةٌ عظيمةٌ حقاً، أكثر من ٩٠ عُنصراً طبيعياً مُكتشفاً في هذا الوجود، رُتبت نيترونات كلٍ منها وبروتوناته في أنوية محددة الحجم بدقة تجذب إلكترونات في مدارات بالأبعاد اللازمة ،هذه العناصر تفاعلت بقوانين كيميائية ثابتة لتُعطي مُركبات فتهيأت الفرصة للحياة، غلافٌ جوّي بالإرتفاع والكثافة المناسبين يحتوي غازات بالنسب اللازمة وينقلُ الموجات الصوتية بسرعةٍ مضبوطة، تُربة مُهيأة لإستقبال البذور وإختزان ماء الأمطار، ماء بلزوجة وخواص إذابة محددة يتبخّرُ عند درجة حرارة معينة ليُشكّل السُحب ويتكثف عند درجةٍ أُخرى ليهطل مطراً؛ وكل ذلك بالمقادير المُناسبة لدورته في الطبيعة، جاذبية أرضيةٌ بالمقدار اللازم بحيثُ لا نسبحُ في الهواء ولاتلتصق أُقدامُنا في الأرض، أرضٌ تسيرُ بسرعةٍ دقيقةٍ لليلٍ ونهارٍ يتعاقبان للنوم والعمل، فصولٌ أربعة تُجدد النفس وتُحيي الثمار ،بُعدٌ دقيقٌ في الشمس فلا تُحرقنا ولا نتجمّد ، آلآف المليارات من الكواكب والنجوم تسيرُ بسرعةٍ مُناسبة في مدارات محددة بدقة شديدة فلاتصطدم، نشأنا ونحنُ نرى الكونَ هكذا فاعتدنا عليه ولا نتصورُ كم هو مُذهلٌ مُدهش لأننا لم نرى حالةً ليس فيها نظام.

نحنُ نعرف معنى الشبَع لأننا جربنا الجوع ، نعرفُ معنى الراحة لأننا جربنا التعب وبضدّها تتميز الأشياءُ، لكننا لا نُقدّر عظمة النظام والإتقان لأننا لم نرى حالةً ليس فيها إتقان بمعنى آخر لانُقدّر عظمة وجود الله لأننا لم نُجرب حالةً ليس فيها **الله**.

لو أن الأرض لا تدور وكنّا في الجزء المُضيء دوماً ولم يحجب نور الشمس عنّا في بيوتنا حاجة لما عرفنا معنى النور لأننا لانعرف معنى الظلام إذ لم نُجرّبه يوماً.

وحدّثنا مُحدّثٌ حينئذٍ عن أهمية النور لما فهمناه لأننا لانتصور الظلام الذي يُبدّلهُ هذا النور ،كذلك لم نجرب حادةً ليس فيها إتقان ولم نُجرب حاجةً ليس فيها **الله**.

قال تعالى: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ ﴾ [النور : ٣٥].

ونورُه لا يغيب لأنهُ: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة : ٢٥٥].

لذلك عندما نذكر في هذه السلسلة مايقوله الإلحاد فإننا نرسم الظلام حتى نستطيع أن نُدركَ قيمة نور الله بالمقارنة

به، نرسم الظلام الذي لم نُشاهدهُ يوماً ولن نُشاهده "ظلام عدم وجود الله".

في موضوع "كيف يهدم الإلحاد العلم" بيّنا وجود الله هو القاعدة التي تتأسس عليها حقائق الأشياء وأن إنكار وجوده يؤدي إلى إلغاء قيمة العقل والعلم التجريبيّ وإلى القول بأن الأشياء لا حقائق لها وفي الحلقة التي تليها بيّنا أنّ وجود إلهٍ بصفات الكمال المُطلق هو الأساس الوحيد الذي يُمكن أن تقوم عليه الأخلاق ،كثيرٌ من الإخوة وجد صعوبة في فهم هذا الكلام ؛لأنه ببساطة لم يستطع تصوّر حالةٍ ليس فيها نور الله.

ماذكرناه ومالم نذكرة من قوانين ضابطة تسمحُ بالحياة، لو إختلّ شيءٌ منها ولو بمقدارٍ ضئيل ،لما بقيَت حياة ولازالت حالة النظام والتناسُق في الكون.

من يُمسك الجُسيمات في الذرات أن تتناثر؟

من يُمسك طاقة الذرات أن تتحرر وتتفجر كما تتحر الطاقة في القنابل الذريّة؟

من يُمسك المخلوقات على الأرض أن تتطاير؟

من يُمسك الكواكب والنجوم أن تصطدم ببعضها؟

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ ﴾ [فاطر : ٤١].

ستقول تُمسكها القوانين، هذه القوانين **هل** هي فاعلٌ مُريدٌ حيّ ؟

هل قانون الجاذبية مثلاً إلهٌ مُريدٌ مُختار يعلم مايفعل ؟

هذه القوانين ماهي إلا أوصافٌ لما يحصُل لا أنها فاعلٌ مُختار يُسبب مايحصل.

هي أوصافٌ لأفعال الله تعالى في خلقة فقناعتنا بأن الله يُمسك السماوات والأرض أن تزلا ليست لأن القران يقولُ ذلك فحسب بل ولأن هذا هو المُقتضى العقليّ لكون القوانين خواص غير عاقلة لاتُنشيء نفسها، القوانين ماهي إلا أوصافٌ لأفعال الله في خلقة، القوانين ليست بدائل عن قيومة الله على خلقة، عندما نقل مثلاً الماء يغلي على درجة حرارة ١٠٠ مئوي، فهي جُملةٌ مختصرة لو أردنا أن نُكملها فأي الجُمل التالية تراها بالصواب؟

١. اللاشيء أوجد الماء وجعله يغلي على درجة حرارة ١٠٠ مئوي.
٢. أم الماء أوجَد نفسهُ وجعل نفسه على درجة حرارة ١٠٠ مئوي صُدفةً.
٣. أم أنّ الله أوجد الماء وجعله يغلي على هذه الدرجة عن علمٍ وحكمة ليؤدي وظيفةً في كون مخلوقٍ لغايه.

القوانين ماهي إلا أوصافٌ لأفعال الله في خلقة.
وجود القوانين ووجود الخواص للأشياء لايعني أن حالة الإتقان هذه أصبحت ذاتيةً تلقائيةً مُستغنيةً عن الخالق والمُسبب الأول لكل شيئ.
لو قُلت فلان يكتب بسرعة ١٠٠ كلمة في الدقيقة، **هل** هذا قانون حاكم يحكم فُلاناً؟
هل لو قرر فلان التوقف عن الكتابة فإن أزرار الكمبيوتر ستنضغط تلقائياً بسرعة ١٠٠ كلمة في الدقيقة؟
فالقوانين أوصاف لفعل فاعلٍ مُختار.
نشأنا ونحنُ نرى الكون بهذا النظام فأصبح هذا النظام هو الحالة الإفتراضية التي لا نتصوّر غيرها وتعاملنا وكأن خواص الأشياء ذاتيةٌ فيها تلقيائية وكأن الجمادات اختارت عن علم وإرادة أن تكون لها هذه الخواص.
ولو تفكّرنا لشاهدنا تجليّات القُدرة الإلهيه في جميع الموجودات ولم نرى مؤثراً في الوجود سوَى الله ولاعلمنا أنه ليس هُناك شيءٌ ذاتيٌ على الحقيقة إلا الخالق والسبب الأول والمُحرّك الأول لكلّ الخلائق فهو الذي يُعطي الجمادات خواصها.

لذلك ترى القران ينسب أفعالٌ كثيرةٌ إلى الله مع أنها مُحددةٌ بقوانين وبقوى الطبيعة.

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ [الأنعام : ٩٩].

أنزل من السماء ماء بخاصية التكاثف التي خلقها في الماء.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ﴾ [النور : ٤٣].

يزجي سحاباً بالرياح التي تنشأ من خواص التضاغط والتخلخل التي خلقها في الهواء.

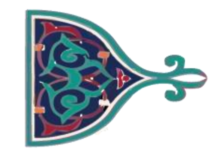
قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَـٰنُ ۚ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴾ [الملك : ١٩].

وزمام المواد كلها والقوانين كلها والخواص كلها بيده سُبحانه والموجودات كلها من أصغر الجُسيمات إلى أعظم الأجرام مفتقرةٌ إليه ليس لها ذاتيةٌ ولا تلقائية

ولا غنى لها طرفة عين عنه سُبحانه فهو: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾[البقرة : ٢٥٥].

الذي يقوم على أمر السماوات والأرض ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[البقرة : ٢٥٥].

إذ لو حصل هذا لازالت السماوات والأرض لكن ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ ﴾ [فاطر : ٤١].



العجيبة المذهلة!
(طول المادة الوراثية في جسمك)



أيّها الأحبة ذكرنا أننا سنتناول أمثلة عن هذا الكون المُتقن سنبدأُ في المادة الوراثية في أجسامنا الكلام الذي ستسمعونه في غاية الغرابة لذا سأوثّق لكم المعلومات بأفضل مايُمكن، قال تعالى: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١) ﴾ [الذاريات].

جسمك مكوّن من خلايا الخلية هي أصغر وحدة حيّة ،لو أخذنا نقطة صغيرة من جلدك فسوف تظهر تحت المجهر كما في الشكل التالي:



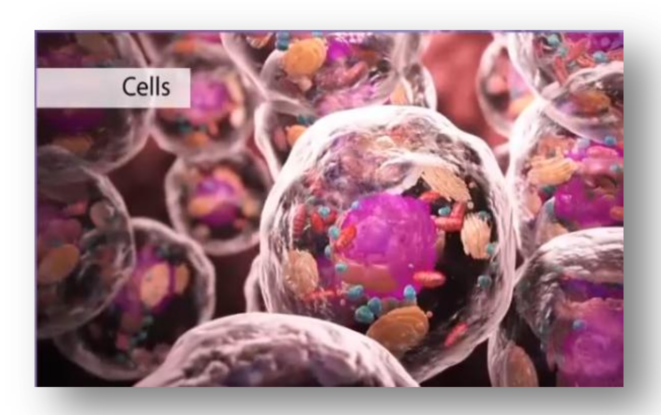
في ظنّك **ماهو** عدد الخلايا في جسمك؟

في الواقع تراوحت التقديرات بشكلٍ كبير، أفضل دراسة لخصت الموضوع هي هذه الدراسة:

" An estimation og the number of cells in the human body "

من مجلة (Annals of Human Biology) عام ٢٠١٣ . . والتي لخصت تقديرات ٣٠ كتاباً ودراسة سابقةً لعدد خلايا الجسم والنتيجة هي هو أن عدد الخلايا في جسمك هو **٣٧,٢ ترليون خلية**.

في سُلامية الأصبع الصغير هُناك المئات من الخلايا، كلّ خلية من خلايا الجسم يصلها الأكسجين والغذاء وتتخلص من فضلاتها وكلٌ منها عالمٌ قائمٌ بحدّ ذاته.



سنتكلم عن نواتها تحديداً جزء صغير داخل هذه الخلية الصغيرة.



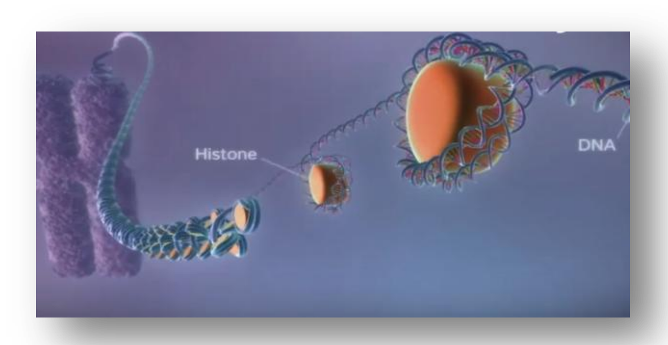
تعالوا ندخل إلى داخل النواة :



هذه النواة تحتوي على المادة الوراثية DNA والتي تحمل صفاتك الوراثية على شكل جينات : جين مسؤول عن لون العينين ،جين مسؤول عن إنتاج الأنسولين وهكذا .. هذه المادة الوراثية المؤلفة من جينات مرتبة على شكل كروموسومات وهذا كروموسوم واحد كما في الشكل السابق.
كل واحد فينا نحنُ البشر لدينا ٢٣ زوجاً من الكروموسومات ،كل زوج في كروموسوم موروث من الأب وكروموسوم موروث من الأم.
هذه صورة حقيقة للكروموسوم بالمجهر الألكتروني مثل قُبب الصوف:



المادة الوراثية في الكروموسوم عبارة عن خيط رفيع جداً وطويل جداً جداً وحتى تستوعبة النواة الصغيرة فهو مرتب بطريقة عجيبة فهو ملفوف على بروتينات يُسمّى الهيستون واللفة ملفوفه على نفسها وهكذا فهو مرصوص جداً جداً.
كما في الشكل التالي:



نواة الخيلة الصغيرة لو أخذنا ٢٣ زوجاً من الكروموسومات فيها وفردنا الـ DNA
المضغوطة فيها ووصلناها ببعضه فإن طولة الكلّي سيكون ٢ متر لكل نواة .
كما في موسوعة "The Physics Factbook" والتي تُقارن طول الـ DNA في نواة الخلية الواحدة من عدّة مراجع هذا

طل المادة الوراثية في نواة واحدة في خلية واحدة، حسناً نحنُ قلنا كم خلية عندنا في الجسم حوالي ٣٧,٢ ترليون خلية إطرح منها كريات الدم الحمراء والصفائح الدموية لأن ليس فيها نواة، يبقى عندنا حوالي ١٠ ترليون خلية فيها نواة إضرب ٢ متر طول الـ DNA في الخلية الواحدة في ١٠ ترليون عدد خلايا جسمك فالنتيجة ستكون رقم مهولاً جداً جداً النتيجة هي ٢٠ ترليون متر يعني ٢٠ مليار كيلومتر (٢م X ١٠ترليون = ٢٠ ترليون متر أي ٢٠ مليار كيلومتر). ٢٠ مليار كيلو متر من المادة الوراثية في خلايا جسمك أنت وحدك وهذا الرقم هو ماتنصّ عليه أيضاً كتبٌ معتمدة في الكيمياء الحيوية مثل كتاب:

(BIOCHEMISTRY FOR DENTAL STUDENTS)

صفحة ٧٥ .

وكما تنصّ عليه أيضاً موسوعة The Physics Factbook " " في موضوعها رقم ٣٩٣.

تعرفون ما معنى ٢٠ مليار كيلومتر ؟

نفس الموسوعة تقرب لك الصورة وتقول يكفي حوالي ٧٠ رحلةٍ ذهاباً وإياباً من الأرض إلى الشمس، على فكرة هذا الرقم متواضعاً نسبياً هُناك مواقع علمية عالمية تُقدّر عدد

الخلايا برقمٍ أكبر فتصل إلأى إستنتاجٍ أعلى عن طول الـ
DNA مثل موقع Scitable
التابع لـ Niture Publishing Group.
الذي قدّر أن لكلٍ منا لدية مادة وراثية DNA تصل من هنا
إلى الشمس ذهاباً وإياباً ٣٠٠ مرة بل أكثر !
دعونا من أرقام هذا المقع المضاعفة فلنبقى مع التقديرات
الأقل لطول المادة الوراثية مع العشرين مليار كيلومتر،حتى
نقرّب هذا الطول أكثر تصوّر معي الكرة الأرضية التي نعيشُ
عليها بسهولها وجبالها ووديانها وغاباتها وبحارها ومحيطاتها
وصحارها .. هذه الكرة الأرضية أصغر من الشمس بحوالي
مليون مرة.
محيط دائرة الشمس يُقدّر بمليون وثلاث مائة وسبعين ألف
كيلومتر ، بينما طول الـ DNA في جسمك ٢٠ مليار كيلومتر
يعني ٢٠ ألف مليون كيلومتر.
يعني يكفي أن يلّف حول الشمس مرات كثيرة جداً أكثر من
٤٥٠٠ مرة.
أنا أعلم أن هذه أرقام يصعب تصديقها وقد ترددت كثيراً في
عرضها لولا أنّي وجدت مراجع عديدة تُشير بنفس الإتجاة
بل وإلى أرقام أكبر، ولم أجد على كثرة البحث مرجع واحد
يذكر حسابات مُفصّلة يصل بها إلى رقمٍ أقلّ.

والغرابة لا تقف عند هذا الحدّ بل هذه بداية قصة تعقد اللسان ، الغرابة عندما تعلم أن هذه المادة الوراثية ليست مرصوصة فقط بل تتعرض أجزاء منها على مدار الساعة لعمية قراءة مثلاْ أنت إنجرحت إلتئام جرحك يحتاجُ إلى عمليات كثيرة منها إنتاج بروتين الكولاجين الذي سيرمم الجرح ،تذهب جُسيمات خاصة فتستهدف الجينات المسؤولة عن الكولاجين تحديداً وسط هذه الخيوط الطويلة جداً من المادة الوراثية فتقرأ الجينات وينتج عن هذه القراءة كولاجين .

فالمادة الوراثية ليست خيوط جامدةً ميتةً مرصوصة بل نشطةٌ مُتفاعلة عملية قراءة الجينات سنتكلم عنها في موضوعنا التالي بإذن الله وهي موضوع لايقلّ غرابة عن طول المادة الوراثية.

إسأل من يُنكر ربه **من** أبدع جسمك بهذه الشكل؟

سيُجيبك إنه اللاشيء ، العدم هو الذي أوجد جسمك وجعل ملايين ملايين الخلايا فيه تتمايز ،خلايا للعظم ،وآخرى للأعصاب وخلايا دهون وخلايا دم وغيرها ..

إنه اللاشيء أوجد الهرمونات اللازمة لإنقسام الخلايا وهداية كلٍ منها إلى مكانة المناسب ، اللاشيء هو اللي فعل ذلك! وفعلهُ كلّهُ صدفةً !!

إنه اللاشيء رصّ المادة الوراثية في خلاياك بهذا الشكل العجيب ! إنه اللاشيء أوجد المادة الوراثية ولفّها حول الهيستونات والتفت هذه بدورها حول بعضها وتثنّت والتوَت بشكلٍ مُنظّم لتنفك عند الحاجة بشكلٍ منظمٍ متقنٍ بديع !

اللاشيء فعل ذلك كلّه صدفةً.

أما نحنُ فنقول قوله تعالى: ﴿ هَـٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِۦ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [لقمان:١١].



الشيفرة المحيرة

الموضوع السابق رأينا طول المهول للمادة الوراثية في جسم الواحد منّا ، اليوم سنرى ماهو أعجب ،سنرى كيف تُترجم هذه المادة الوراثية إلى شحم ولحم ودم.
شاهدٌ آخر على صنع الله الذي أتقن كلّ شيء، الموضوع ليس سهلاً وقد يبدو في البداية علمياً لكنه مُهماً جداً فأنصح بالقراءة حتى النهاية وستكون الفائدة عظيمة بإذن الله.
سنشرحُ مثالاً بسيطاً ثمّ نطبقه على أجسامنا:
تصوّر معي مكتبة من معلومات الكتب التي فيها سنبني مدينةً كبيرة يعني المدينة كاملةً مُشفرةٌ في هذه الكتب، كلّ كتاب يحتوي على وصف لطريقة عملِ وحدةٍ من وحدات البناء من الطوب ،الأقواس، الأعمدة، الجسور ،ألواح الخشب، قطع الرخام وهكذا .. وممنوع إخراج هذه الكتب لذلك فهناك موظفون في هذه المكتبة مهمتهم أن يكتبوا نسخاً من الكتب ويسلموا هذه النسخ إلى عمالٍ خارج المكتبة، العمال في الخارج يقرأون النسخ ويصنعون على أساسها وحدات البناء، ثم يأتي عمالٌ أخرون يضعون كلّ قطعةٍ محلها فينتج عن ذلك مدينةٌ كبيرة. في الجوار مكتبة تحتوي نفس الكتب لكن موظفي تلك المكتبة ينسخون كتباً

بعضها نفس كتب المكتبة الأولى وبعضها مختلفةٌ عنها، تخرج هذه النسخ إلى العمال في الخارج فيصنعون وحدات البناء ثمّ يأتي عمالٌ يضعون الوحدات في محلها فتنتج مدينةٌ أُخرى فيها شبهٌ من نواحي وإختلاف من نواحي أُخرى عن المدينة الأولى.

عدد كبيرٌ من المدن المُتجاورة يُشكّل عالماً كبيراً.

تعالوا نُطبّق المثال على أنفسنا ، جسمك هو هذا العالم والمدن المتجازورة هي خلايا جسمك المختلفة عن بعضها خلايا عظم وخلايا عضلات وخلايا تفرز هرمونات الأنسلولين وهكذا .. كل هذه الخلايا تحتوي نفس المكتبة يعني فيها نفس الكُتب ، المكتبة هي نواة الخلية ومجموعة الكتب كلها تُشكل المادة الوراثية، المادة الوراثية مؤلفة من وحدات بناء صغيرة تُسمى النيوكليوتيدات.

هُناك أربع نيوكليوتيدات مختلفة يُرمز لها بالحروف:

A - G - T - C

يعني كأن الكتب الموجودة في المكتبة لغتها مؤلفة من أربعة حروف ، هذه النيوكليوتيدات تترتب بأشكالٍ مختلفة فينتج عن ترتبها بهذا الشكل جينات مفصولة عن بعضها كما الكُتب في المكتبة مفصولةٌ عن بعضها.

إذاً كل جين هو عبارة عن عدد كبير من النيوكليوتيدات المرتبة بشكلٍ معيّن في الإنسان هناك حوالي ٢٠ ألف جين ،كل جين يترجم إلى بروتين مُعين مثلما يترجم كتابٌ إلى وحدة بناء معيّنه كالطوب أو الأقواس وغيرها ..
مثلاً : جين يُترجم بهرمون الأنسولين الذي ينظّم سكر الدم ، جين يُترجم للكولاجين الذي يبني العظم والجلد .. وهذه كلها بروتينات.
حسناً ، **كيف** تتم ترجمة الجين إلى بروتين ؟
الجين أشبه مايكون بأحرف مقرووه والبروتين جُسيم حقيقي مبني من مجموعة أحماضٍ أمينية يعني مجموعة أحماض أمينية متصلة ببعضها تُشكّل البروتين.
ماهي هذه العملية التي تبدو وكأنها عاقلة فتقرأُ الأحرف وتفكّ شفرتها وتصنّع البروتين على أساسها ؟
تأتي قارئات إلى الجين المراد ترجمته تحديداً هذه القارئات عبارة عن مجموعة من الجُسيمات المُتجمعة تأتي فتفكَ خيطي المادة الوراثية الـ DNA عن بعضهما وتقرأ أحدهما فتُصنّع شريط RNA مُتناسباً معهُ هذه الجُسيمات عبارة عن نيوكليوتيدات مُختلفة موجودة في نواة الخلية تصفّها القارئات على حسب الجين يعني تتخذ الجين كقالب تُشكّل على أساسة شريط النُسخة يعني للتبسيط يمكن أن نقول أن

شريط الـ RNA كأنهُ نسخةٌ عن الجين كما يكتب موظف المكتبة نُسخةً عن الكتاب في مثالنا.

هذا الكلام كلّه يتم داخل نواة الخلية يعني داخل المكتبة بعد ذلك تخرج النسخة خارج النواة فيأتي عامل والتي في حالة الخلية يُسمّى الرايبوسوم ليقرأ النسخه ويصنّع وحدة بناء على أساسها، هُنا تأتي عقدة تحويل النُسخة إلى بروتينات ،النسخة مكونة من النيوكليوتيدات يعني من حروف ، البروتين مكوّن من أحماض أمينية يعني من مادة حقيقة.

كيف سيستطيع هذا العامل الرايبوسوم أن يبني بروتين من قراءة شريط النيوكليوتيدات ؟
هناك جُسيمات أسمها النواقل VRNA تركب على النسخة مثل الليقو ومن الناحية الأُخرى تحمل حمضاً أمينياً ،كلّ ناقل يحمل حمضاً أمينياً عن الآخر، فالرايبوسوم يُرتب هذه النواقل حسب شريط النسخة ويصل الأحماض الأمينية

ببعضها من الطرف الآخر فيتكوّن شريطٌ طويل من الأحماض الأمينية ثمّ ينفصل هذا الشريط ويتعرض لتعديلات كثيرة ينتج عنها في المحصلة بروتين مُعيّن، لذلك نقول أن البروتين الناتج مُشفّرٌ في المادة الوراثية يعني المعلومات اللازمة لصناعتة مُخزنة في المادة الوراثية بلغةٍ خاصة وتحتاج قارئات قادرات على فكّ الشفرة ،تكوّن البروتين يعني وحدة البناء فتتلقفهُ معرفات خاصة تقوده إلى المكان المناسب له في الخلية مثلما يقوم العمّال بوضع وحدات البناء في المكان المُناسب من المدينة، مثلاً: هُناك بروتينات تتجمع لتُشكّل حُزماً هذه الحُزم تُشكّل مايشبه بشبكة الطُرق داخل الخلية، بروتينات آخرى تخزّن داخل حويصلات كبيرة تنقلها بروتينات آخرى أيضاً تُسمّى: البروتيانات الناقلة "Motor protein" متخذة الحزم المذكورة كطريق تسير عليه.

كلّ شـيء يهـتدي إلى مكانه المُناسـب.

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾

[طه: ٥٠].

وهذه كلها مُشفرة في كتب المكتبة يعني في المادة الوراثية ،شبكة الطرق والبروتينات الناقلة والمنقولة بل والقارئات والرايبوسومات ، كل مايلزم لبناء المدينة يعني الخلية موجودٌ في المكتبة ، **مالذي** جعل خلية الجلد مثلاً تختلف عن خلية البنكرياس ؟ مع أن كليهما لديهما نفس المكتبة والكُتب ،لأن موظف المكتبة في خلية الجلد يُخرج نسخةً عن كتاب الكولاجين يعني عن جين الكولاجين الذي يُساعد في إعطاء الجلد قوامة، بينما موظف المكتبة في خلية البنكرياس يُخرج نسخةً عن جين الأنسولين الذي يُفرزه البنكرياس وبما أن جسمك فيه أنواع كثيرةٌ جداً من الخلايا ولكل منها تفاصيل كثيرةٌ جداً فالمادة الوراثية تحتوي على كمّ هائل من المعلومات المُشفّرة على أكثر من ثلاث مليارات وخمسمائة مليون زوجٍ من النيوكليوتيدات يعني أكثر من ٧ مليارات نيوكليوتيد.

يعني لو تصوّرنا الورقة من مخطط البناء محشوة برموز النيوكليوتيدات بهذا الشكل:

فإننا سنحتاج حوالي مليونين وسبعمائة ألف ورقة A4 لكتابة المادة الوراثية في الخلية الواحدة.

مجموعة الورق الواحد في ٥٠٠ ورقة وبالتالي فإننا نحتاج خمسة آلاف وأربعمائة وثلاث وعشرون مجموعة.

وهذه لو رتبناها فوق بعضها فإنها تصل لإرتفاع حوالي ٣٠٠ متر ، يعني بإرتفاع ناطحة سحاب، هذه المادة الوراثية في الخلية الواحدة !

إسأل نفسك . .

من أبدع هذا كلّه؟
يُجيبك الإلحاد إنه اللاشيئ!
العدم !! أوجد النيوكليوتيدات ورتبها على شكل جيناتٍ منتظمة!
العدم !! رصّ هذا الكمّ الهائل من المعلومات ورصّها مُشفرةً داخل نواةٍ صغيرةٍ جداً .
إنهُ العدم !! أوجد القارئات التي تتوجه إلى الجين المطلوب تحديداً وتصدر منه نُسخة.
ثم العدم !! أخرج النسخة من النواة إلى سائر الخلية.
ثم العدم !! أوجد الرايبوسومات التي تفكّ الشفرة الوراثية وتحوّل مايشبه
الأحرف المرصوصة إلى البروتين المطلوب مُستعينةً بالنواة.
ثم العدم !! ساق البروتين الناتج إلى مكانه المناسب في الخلية.
إنه العدم !! أوجد البروتين المنقول والبروتين الناقل وشبكة الطرق التي يسيران عليها.
إنه العدم !! أوجد ذلك كله، وأوجدهُ صُدفة ! !
فإياك أن تظنّ أن كلّ هذا بحاجةٍ إلى خالقٍ عظيم عليمٍ قديرٍ حكيم أتقن كلّ شيء! بل المسألة مسألة وقت ، ملايين

السنين يجرّب فيها العدم عشواءً فيخلق هذا كله من لاشيء وينظمه هذا النظام الرائع البديع.

أتعلمون . . ؟

قد كنتُ أسير في تحضير **رحلة اليقين** إلى أن وصلتُ إلى نماذج الإتقان في الخلق فتجمدت عندها وترددت وانعقد لساني وجفّ حبرُ بياني، لأنني حقيقة بقدر ما استحضر عظمة الله في أي زاوية من زوايا خلقه فإنني لا أستسيغ فكرة محاولة إقناع أحد أن هذا كلّه لابُد لهُ من خالق.

قال تعالى: ﴿ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾

[الأعراف:١٦٤].

الفهـــــــرس

"سلسلة رحلة اليقين"

للدكتور: إياد قنيبي.